قلعة طرابلس للنشر الإلكتروني

سلسلة الإصدارات الثقافية

الروايات العالمية

روبنسون كروزو

دار نشر قلعة طرابلس للنشر الإلكتروني
الكتاب لا نصنعه نحن نصنعها
www.tripolicastle.com

دانيال ديفو

سلسلة الروايات الثقافية
رواية
روبنسون كروزو
للكاتب البريطاني دانيال ديفو ..
صدرت عام 1719م ..
قلعة طرابلس للنشر الإلكتروني
دار نشر قلعة طرابلس للنشر الإلكتروني
الكتاب لا نصنة نقصا أن نصنة
www.tripolicastle.com
الإصدار القادم : ؟....

الفصل الأول
روبنسون كروزو يذهب إلى البحر

ولدت في سنة 1632 في مدينة يورك ، من عائلة جيدة . كان أبي قد أصبح ثريا جدا كتاجر وتزوج أمي التي كان اسم عائلتها روبنسون .كان اسم عائلة أبي كرويتزناور ، لكننا ندعو أنفسنا دائما كروزو . هكذا أصبح اسمي روبنسون كروزو.
قدم لي أبي تعليما جيدا وأراد مني أن أصبح محاميا . كان قلبي قد استقر على أن أذهب إلى البحر ، ولم يستطع أي شيء كان باستطاعة والدي أو أصدقائي قوله أن يغير عقلي . ذات صباح ، ناداني أبي إلى غرفته وتكلم إلي بجدية عن مستقبلي . أخبرني بأنني إذا بقيت في البيت فإنني سأحصل على كل ما أريده . حذرني من أخطار الحياة في البحر وطلب مني ألا أفكر في ترك الوطن بعد ذلك . لفترة طويلة من الوقت ، اتبعت نصيحته ، لكن بعد أسابيع قليلة عادت إلي الرغبة في المغامرة . فقررت ذات يوم أن أهرب من البيت.
بعد حوالي سنة حللت ميناء هل البحري . كان أحد أصدقائي سيذهب إلى لندن في إحدى سفن أبيه . أقنعني في أن أذهب معه ، قائلا بأن الرحلة لن تكلفني شيئا . لم أخبر هذه المرة حتى والدي بأنني سأسافر ، لكن في سنة 1651 ركبت السفينة التي كانت ستسافر إلى لندن.

لم نكد نخرج من المرفأ حتى بدأت الريح تهب والأمواج ترتفع . لأنني لم أكن في البحر من قبل أبدا ، بدأت أشعر بالمرض والخوف . قررت أنني إذا وصلت بأمان إلى البر ثانية ، فلن أذهب إلى البحر وسأعود إلى البيت مباشرة.
بعد يومين كان البحر هادئا وخفتت الريح . نمت جيدا أثناء الليل ، وفي الصباح شعرت بأنني أحسن وأسعد حالا . جاء صديقي ليراني ويضع يده على كتفي.
سأل : " حسنا يا بوب ، كيف حالك ؟ لابد أنك خفت في الليلة الماضية حين واجهنا ذلك القليل من الريح" .
أجبت : " تدعوها القليل من الريح ؟ كانت عاصفة رهيبة" .
أجاب صديقي : " عاصفة ؟ هل تدعو هذه عاصفة ؟ لماذا ، كانت لا شيء على الإطلاق . أعطنا سفينة جيدة وبحرا صافيا ونحن لا نفكر بشيء عن ريح ضعيفة مثل تلك . سرعان ما ستنسى هذا . أنظر أي طقس جيد لدينا الآن" .
ظللنا في البحر ستة أيام حين أتينا إلى يارماوث . كانت الريح تأتي من الاتجاه الخطأ ، لذلك أجبرنا على أن ننزل المرساة ، وننتظر خارج المرفأ . بعد أن انتظرنا أربعة أو خمسة أيام أصبحت الريح أقوى مرة أخرى ، لكن القبطان لم ير أي خطر . في يومنا الثامن في يارماوث كان البحر عاليا جدا لدرجة أن موجات عديدة سعدت فوق جنب السفينة . أمر القبطان أن تنزل مرساة أخرى كي لا ننجرف بعيدا . بدأ الكل يخافون.
في المساء أصبحت الأمواج أعلى من أي وقت آخر ووصلت إلى

فوق على جانب السفينة كل دقيقتين أو ثلاث . في البداية ، كان على البحارة أن يستخدموا فؤوسهم لقطع سارية السفينة الأمامية . عندئذ أصبحت السارية الرئيسية مرتخية وكانت تهز السفينة كثيرا جدا حتى كان يجب أن تنزع وتقطع أيضا.
كانت لنا سفينة جيدة ، لكنها كانت تحمل حمولة ثقيلة . إضافة إلى الحمولة الثقيلة كان هناك ثقل الماء الذي صعد إلى جانب السفينة . نزلت السفينة أسفل فأسفل في الماء . وفي منتصف الليل كان هناك خمسة أقدام من الماء في قاع السفينة . أمر الكل بأن يعملوا على المضخات لضخ الماء وإخراجه ، وانضممت إلى العمل بأفضل ما أستطيع.
بدأ القبطان في إرسال إشارات طلبا للنجدة . بعد بعض من الوقت أرسلت منارة عائمة قاربا ليحاول مساعدتنا . لم يستطع القارب أن يصل إلى مسافة قريبة منا إلى أن رمى رجالنا حبلا طويلا .
بالتجديف بجدية أصبح الرجال من المنارة العائمة قادرين على أن يمسكوا بنهاية الحبل . عندئذ أصبحنا نحن قادرين على أن نسحبهم إلى جانب سفينتنا وصعدنا كلنا إلى قاربهم . اتجهنا إلى الشاطئ ، لكنها كانت رحلة بطيئة جدا ، فقد أخذنا البحر إلى الشاطئ تماما . أخيرا رسونا قرب بلدة كرومر ، وهنا وصلنا كلنا إلى شاطئ البحر بأمان.
حالما حططنا على الشاطئ ، بدأنا نمشي نحو بلدة يارماوث , عوملنا هنا بلطف شديد وأعطينا ملابس جديدة ونقودا كافية لتأخذنا إما إلى لندن أو إلى بيوتنا . لو منت واعيا ، لعدت إلى ميناء هل ومن هناك ذهبت إلى بيتي في يورك . لكن شيئا دفعني إلى الأمام وجعلني أقرر أن أستمر بمغامرتي . هكذا , ذهبت إلى لندن...

****

الفصل الثاني
روبنسون كروزو يصبح تاجرا ويؤسر

في لندن ، كنت محظوظا تماما بمصادفة بعض أصدقاء جيدين جدا . كان أحدهم قبطان سفينة تجارية كانت على شاطئ غينيا .كان سيذهب إلى هناك ثانية ودعاني أن أذهب معه . أخبرني أن الرحلة لن تكلفني شيئا . وإذا أحببت أن آخذ معي أي شيء لأبيعه ، يمكنني أن أفعل هذا وقد أكسب ربحا جيدا.
قبلت عرضه وتابعت الرحلة معه ، حملت معي ما يعادل حوالي أربعين جنيها من الألعاب وبعض السلع الأخرى التي أخبرني القبطان أنه يمكنني بيعها بكل سهولة .جعلت مني هذه الرحلة بحارا وتاجرا معا . أحضرت معي إلى الوطن من الرحلة ما يزيد عن خمسة أرطال من تراب الذهب بعتها في لندن بمبلغ ثلاثمائة جنيه.
شجعني نجاح هذه الرحلة على أن أذهب مرة أخرى ، مع أن صديقي القبطان مات حالما رجعنا ، قررت أن أذهب إلى غينيا ثانية بنفس السفينة . تركن مائتي جنيه من ربح الثلاثمائة جنيه في يدي أرملتي القبطان الأمينتين . أخذت معي في الرحلة ما يكافئ مائة جنيه تقريبا من البضائع لأبادلها بالذهب . أملت في هذه الرحلة حتى أن أكسب ربحا أكبر . أسفرت الرحلة عن كونها أسعد رحلة قمت بها في أي وقت من الأوقات.
فيما نحن نذهب نحو جزر الكناري طاردتنا سفينة قراصنة تركية . أبحرنا بأسرع ما أمكننا ، لكن سفينة القراصنة كانت أسرع منا وأمسكت بنا خلال بضع ساعات . قتل القراصنة ثلاثة من رجالنا وجرحوا ثمانية آخرين . أخذنا كلنا كأسرى .

جعلني قبطان سفينة القراصنة عبده . عند نهاية الرحلة أخذني إلى بيته , وأملت أنه حين سيذهب إلى البحر ثانية سيأخذني معه . فكرت أنه عاجلا أو آجلا سيؤخذ هو نفسه سجينا من قبل سفينة إسبانية حربية . عندئذ سأصبح حرا .لكن حين ذهب القبطان تركني في بيته لأعتني بحديقته وأقوم بالشغل في منزله.
حين عاد ثانية أرسلت لكي أعيش على ظهر السفينة لأحرسها . هنا بدأت أفكر بطرق هرب ، لكن لم تتح لي فرصة على الإطلاق إلى أن مضت سنتان . غالبا ما استخدمني القبطان للذهاب لصيد السمك في الخليج القريب من بيته . كان سيأخذ قاربا من قواربه الأصغر العائدة إلى سفينته . كنت سأذهب معه لأجذف القارب بمساعدة أحد خدمه . أحيانا كان يأتي أحد أقاربه ، وهو مغربي ، بدل من القبطان.
حدث أن استقبل القبطان القرصان ذات يوم بعض الضيوف الآتين إليه . أراد أن يسليهم على ظهر سفينته ، ولذلك أرسل كمية كبيرة جدا من الطعام أكبر من العادة . وأعددت كل شيء وانتظرت في الصباح التالي أن يصل القبطان وضيوفه . لكن ، حين صعد على ظهر السفينة كان القبطان وحيدا. قال لي بأن ضيوفه لن يأتوا بعد كل هذا . أمرني أن أخرج كما هي العادة مع المغربي ونصطاد

بعض السمك . قررت أن هذا هو وقت الهرب ، وهكذا بدأت أعد القارب ، لا لرحلة صيد سمك بل لرحلة بحرية.
في بداية الأمر طلبت من المغربي أن يحضر لنا شيئا نأكله . قلت بأنه لم يكن من الجيد أن نأكل الطعام الذي أرسله سيدنا لضيوفه .قال المغربي بأن هذا كان صحيحا وذهب ليحضر بعض البسكوت والماء الطازج . بينما كان بعيدا , خبأت في القارب كمية كبيرة من طعام القبطان . خبأت أيضا بندقية وفأسا ومنشارا ومطرقة . مع الطعام الذي سيحضره المغربي ، سيكون في القارب طعام وفير لرحلة طويلة تماما.
حين أعد كل شيء انطلقت في رحلتي لصيد السمك مع المغربي وخادم واحد . مررنا من المدخل إلى المرفأ وتابعنا حتى أصبحنا على بعد حوالي ميل من الشاطئ . اصطدنا السمك لبعض الوقت ، لكننا لم نمسك بأي شيء.
قلت للمغربي : " ذلك لن ينجح . لن نمسك أبدا بأي شيء هنا . يجب أن نذهب أبعد في البحر" .
وافق وخطوت إلى الأمام في القارب إلى حيث كان يجلس المغربي . اعتقد أنني كنت سأبدأ في التجذيف . انحنيت كأنني سألتقط المجذافين ، لكن بدلا من هذا فاجأته ودفعت به بسرعة خارج القارب في البحر . ارتفع إلى السطح على الفور وبدأ يسبح نحو القارب . كان سيصل إليه بسرعة كبيرة ، لكنني أحضرت البمدقية التي خبأتها وصوبتها نحوه.
أخبرته : " يمكنك أن تسبح جيدا لتصل إلى الشاطئ من هنا . إذا فعلت هذا لن أوذيك ، لكن إذا اقتربت أكثر من القارب سأطلق النار عليك . "حدق المغربي بي لبعض الوقت وكأنه لم يصدقني لكنني أبقيت البندقية مسددة عليه . أخيرا استدار وبدأ يسبح نحو الشاطئ .
حين ذهب ، استدرت إلى الخادم الذي كان يدعى قصوري.
وعدت : " قصوري ، إذا أصبحت مخلصا لي سأجعل منك رجلا عظيما . لكن إذا لم تقسم أن تكون صادقا معي سأرمي بك في البحر" .
ابتسم قصوري لي ووعد بحماسة أن يكون مخلصا حتى أنني أبقيته في القارب كرفيقي.
حالما حل الظلام رفعت الشراع وأبحرت إلى أسفل الساحل . تبعت خط الشاطئ , ومع بحر هادئ وريح تالية أحرزت تقدما جيدا جدا . في حلول الساعة الثالثة في فترة بعد الظهر من اليوم التالي عرفت بأنني كنت على بعد يزيد عن مائة وخمسين ميلا عن بيت القرصان . أردت أن أتأكد تماما من أنني كنت آمنا , ولذلك لم أذهب إلى الشاطئ أو أنزل مرساة إلى أن أبحرت لمدة خمسة أيام . اعتقدت أنه لو كانت أي سفن تتبعني لكانت الآن قد تخلت عن المطاردة.
ذات مساء ، رسوت في مرفأ نهر صغير . كانت خطتي أن أنتظر إلى أن يحل الظلام ومن ثم أبحر إلى الشاطئ . حين حل الظلام ، انطلقت ضجة عالية لحيوانات مفترسة نابحة ومزمجرة . خاف قصوري خزفا شديدا وتوسل إلي ألا أذهب إلى الشاطئ في تلك الليلة.

كان علينا أن نرسو على الشاطئ في مكان ما لأنه لم يتبق لدينا المزيد من الماء العذب في القارب ، وهكذا انطلقنا في الصباح . أراد قصوري أن يذهب إلى الشاطئ وحده بينما حرست أنا القارب . فكرت أن من الأفضل أن نذهب نحن الاثنين معا ، وفي النهاية ذهبنا إلى الشطئ ، وكل منا يحمل بندقية وجرتين للماء الطازج . حين حللنا على الشاطئ ، افترقنا أنا وقصوري . ذهبت مباشرة إلى داخل البر ، بينما سلك قصوري طريقه إلى أعلى الساحل . كان من اللازم أن يجد واحد أو الآخر منا جدول ماء عذب.
بعد وقت قصير جدا عاد قصوري جاريا على طول الساحل بأسرع ما استطاع . ظننت أن حيوانا مفترسا كان يطارده ، فذهبت إليه بأسرع ما استطعت . حين اقتربت أكثر ، وجدت أنه كان يحمل على كتفه حيوانا صغيرا أطلق عليه النار واصطاده . سررنا جدا في أن يكون لدينا لحم طازج نأكله ثانية.
كان علينا في مرات عديدة خلال رحلتنا أن نرسو طلبا للماء الطازج . ذات مرة في وقت مبكر من الصباح ، حين كنا لصق الشاطئ ، لاحظ قصوري أسدا.
قلت : " يمكنك أن تذهب إلى الشاطئ وتطلق عليه النار" .
قال قصوري وهو يبدو خائفا : " لست أنا . ذلك الأسد سرعان ما سيأكلني" .
لم أقل المزيد ، لكن بعد أن رفعت بندقيتي صوبت أفضل تصويب ممكن . لسوء الحظ كسرت طلقتي الأولى رجل الأسد ، نهض على ثلاثة أرجل وأطلق أعظم زئير مثير للخوف . أطلقت النار مرة أخرى ، فأصبته هذه المرة في الرأس . مع أن الأسد لم يكن ذا نفع للطعام ، فكرت بأن جلده قد يكون ذا قيمة لنا . لذلك انطلقت أنا وقصوري للعمل على سلخ جلده . عملنا طيلة اليوم كله وأنهيناه أخيرا . فردنا الجلد في الخارج ليجف في القارب ، وبعد يومين كان جاهزا ليخدمنا كساجدة أتمدد عليها.
إلى الامام أبحرنا إلى الجنوب لمدة ثلاثة أسابيع أخرى . فجأة ، صاح قصوري ذات يوم بصوت عال : " سيدي ، سيدي ، سفينة كبيرة" !
نظرت إلى حيث أشار ورأيت سفينة برتغالية . أدرت قاربنا في اتجاهها . كانت سريعة جدا إلى درجة أنني خفت أن تمر عنا قبل أن أتمكن من أطلق أي إشارة . لحسن الحظ ، رآنا شخص على ظهر السفينة من خلال منظاره المقرب ، فأبطأت السفينة البرتغالية . استغرقت ثلاثة ساعات من الإبحار الشاق لألحق بالسفينة وأصل إلى جانبها . أخيرا وصلت إليها وأمسكت بالحبل الذي رماه أحد البحارة إلى الأسفل . حين ربط ربطا آمنا ، تسلقت أنا وقصوري وصعدنا إلى ظهر السفينة الشراعية الكبيرة.

****

الفصل الثالث
تحطمت السفينة بروبنسون كروزو

كنت سعيدا جدا في أن أتحرر من جديد ، فعرضت على قبطان السفينة كل شيء كلن لدي مقابل سلامتي . أجاب بأنه لن يأخذ أي شيء مني . كانت سفينته تتجه إلى البرازيل ، ووعد أنني حين أرسو هناك فإنه يمكنني أن آخذ كل ممتلكاتي معي.
قال : " لقد أنقذت حياتك ، بنفس الشروط التي سأريد أن أنقذ بها أنا نفسي . في وقت ما قد أكون في نفس الحاجة كما كنت أنت" .
أراد القبطان أن يشتري قاربي وسأل كم أريد مقابله . أجبت بأنني لن أستطيع أن أسمي بأي سعر ، لكنني سأقبل بأي عرض يتقدم به . عرض علي ثمانين قطعة من الفضة مقابل القارب وستين قطعة من الفضة أيضا مقابل قصوري . في البداية لم أرد أن أفترق عن قصوري بعد أن ظل مخلصا لي إلى هذا الحد خلال رحلتنا . مع هذا ، وعد القبطان أنه سيحرر قصوري خلال عشر سنين من الزمن ، وكان الولد راغبا في أن يذهب ، لذلك وافقت على أن أبيعه.
أمضينا رحلة جيدة جدا إلى البرازيل ووصلنا بعد ثلاثة أسابيع من انضمامنا إلى السفينة . ما كان القبطان سيقبل أي نقود مني لرحلتي البحرية وأعطاني كل ما وعدني به . وأعطاني أيضا أربعين قطعة من الفضة مقابل جلد الأسد.
حين تركت السفينة كان لدي مائة وثمانين قطعة من الفضة . طيلة الأشهر القليلة الأولى التي عشتها مع مزارع سكر ، تمتعت بالحياة كثيرا جدا حتى أنني قررت أن أحاول أيضا حظي كمزارع . لأجل هذا احتجت إلى أن أحصل على باقي نقودي من لندن . وعدني صديقي الطيب ، قبطان السفينة البرتغالية ، أن يساعدني على فعل هذا.
قال : " إذا أعطيتني رسالة يا مستر أنجلشمان ، سآخذها من أجلك لأرملة التي لديها نقودك في لندن . حين آتي إلى البرازيل ثانية ، سأحضر بضاعتك التي ستكون قادرا على بيعها بربح جيد" .
بينما كنت أنتظر عودته ، اشتريت قدر ما في إمكانياتي من أرض . كان لدي جار في الوضع نفسه تماما كوضعي . في البداية ، زرعنا الأرض لطعامنا الخاص بنا .فيما بعد ، نظفنا ما يكفي من أرض لنكون قادرين على زراعتها بالتبغ . أعددت أيضا حتى قطعة أرض أكبر استعدادا لليوم الذي سأتمكن فيه من زراعة قصب السكر . الآن ، وقد أصبح لدي الكثير جدا من الأرض جاهزة للزراعة , أدركت بأنني سأحتاج بعض المساعدة في أرضي . كنت آسفا لأنني افترقت عن الولد قصورس.
كان القبطان جيدا قدر ما كانت كلمته كذلك . أخذ رسالتي إلى الأرملة في لندن التي كانت تعتني بنقودي . أرسلت مائة جنيه لعدد من التجار الذين أرسلوا بضاعة بتلك القيمة إلى القبطان في لشبونة . أحضر لي مجموعة من قماش وبضاعة قيمة أخرى كنت قادرا على بيعها بسهولة . بالربح الذي كسبته , أصبحت قادرا على أن يصبح لدي ثلاثة خدم ، ساعدوني في منزلي وفي حقولي.

خلال الوقت الذي عشت فيه في البرازيل طيلة ما يزيد عن أربعة سنين ، عرفت اللغة جيدا . أصبح لدي العديد من الأصدقاء المزارعين وأيضا تجار سان سلفادور . غالبا ما أخبرتهم عن رحلاتي التجارية إلى ساحل غينيا . وأخبرتهم أيضا كم كان سهلا أن أتاجر بالخرز والمقصات والألعاب مقابل تراب الذهب والعاج . أثير اهتمام التجار جدا لسماع أنه من الممكن أيضا الحصول على عبيد سيعملون في الأراضي.

بعد بعض الوقت

أتى ثلاثة مزارعين ليروني . أخبروني بأنهم في حاجة ماسة إلى عمال أكثر لأراضيهم . أرادوا مني أن أبحر معهم في سفينة إلى ساحل غينيا . وعدوا مقابل مساعدتي أن يكون لي حصة مكافئة من العبيد الذين سيحضرونهم بعودتهم ، وأن الرحلة لن تكلفني شيء.

كان هذا عرضا جيدا جدا قبلته . رتبت أن يعتنى بضيعتي وأنا بعيد ، وانطلقنا مبحرين حالما كان كل شيء جاهزا . عبرنا خط الاستواء بعد عشرة أيام . وبعد فترة قصيرة جدا من الزمن قابلتنا عاصفة بعنف لمدة أسبوعين حتى أننا لم نستطع أن نفعل شيئا بل أن أذهب إلى حيث تأخذنا الريح.

حين هبطت الريح نظرنا إلى خرائطنا البحرية ووصلنا إلى استنتاج أن أقرب أرض كانت جزيرة من جزر الهند العربية . امتدت هذه الجزر إلى شمالنا الغربي فأطلقنا أشرعتنا في ذلك الاتجاه . قبل أن نستطيع أن نصل إليها ، واجهتنا عاصفة ثانية أبعدتنا عن مسارنا.

كانت الريح لا تزال تهب بقوة شديدة جدا ذات صباح حين صاح أحد رجالنا في مركز المراقبة بصوت عال : " يابسة أمامنا . " جرينا كلنا على ظهر السفينة لنلقي نظرة . فيما نحن نفعل هذا حصل تهشم مكتوم وارتجت السفينة بعنف . غرزنا في ضفة رمال . كانت الأمواج تتكسر على جوانب السفينة ، وكان لاماء ينصب على الأسطح . لن يمر وقت طويل قبل أن تتكسر السفينة إلى قطع في هذا البحر.

لحسن الحظ هدأت الريح قليلا ، وفكرنا أننا سنحاول أن نطلق أحد قوارب سفينتنا . كان القارب في المؤخرة قد تهشم إلى قطع بفعل الأمواج ، لكن كان لدينا قارب آخر على ظهر السفينة كنا قادرين على إنزاله من الجانب بأمان . ركب أحد عشر رجلا منا فيه وبدأنا نجذف على أفضل وجه نستطيعه نحو الأرض . قبل أن نذهب بعيدا جدا ، أتت موجة هائلة من خلفنا . رفعت القارب كأنه كان ريشة ودفعته للأمام . خلال ثانية كنا كلنا نكافح في البحر.

****

الفصل الرابع
روبنسون كروزو يرسو على الجزيرة

أنا سباح جيد ، لكنني كنت عديم القوة في بحر مائج كهذا . حملتني موجة للأمام وتركتني على الشاطئ نصف ميت من كمية الماء الذي ابتلعته . كان لدي ما يكفي من نفس لأنهض ، وأترنح نحو الأرض ، قبل أن تحلق بي موجة أخرى . سرعان ما وجدت أن من المستحيل أن أتجنب لحاق البحر بي . رأيت موجة أخرى عالية علو تل تتقدم نحوي . أردت أن أحاول السباحة معها حتى إلى مكان أبعد على الشاطئ . حين وصلت إلى دفنت إلى عمق عشرين قدما . حبست أنفاسي وحملت إلى الأمام بسرعة عالية . حدث هذا عدة مرات إلى أن وصلت أخيرا إلى قاع جرف . تمكنت من التسلق إلى القمة ، وهناك جلست متحررا من الخطر.

نظرت حولي لأرى إذا كان من الممكن أن أرى أي أثر لأصدقائي . لم يكن هناك أي أثر منهم يرى في أي مكان ، فاستنتجت أنه لابد وأن يكونوا قد غرقوا . كان قلبي مليئا بالعرفان بالجميل لنفسي ، وفي الوقت نفسه كنت آسفا على رفاقي . أسفت أسفا شديدا على أن أحدا من أصحابي لم يظهر بأنه أنقذ من السفينة . كان كل ما رأيته منهم في أي وقت ثانية طاقية ، وثلاث قبعات وفردتي حذائين مختلفتين . في الوقت نفسه كنت شاكرا جدا بأن الله قد أبقى علي . مشيت إلى الأمام والخلف ، رافعا يدي في صلاة وتأمل في رحمة اله الواسعة لي.

سرعان ما بدأت أتعجب ما الذي كنت سأفعله بعدئذ . كنت مبللا تماما ، ولم يكن لدي ملابس يمكنني التغيير بها . لم يكن لدي أي شيء آكله أو أشربه , كان كل ما لدي سكين ، وصندوق تبغ يحتوي على قليل من التبغ.

مشيت مسافة قصيرة في اليابسة لأرى إذا ما كنت أستطيع أن أجد أي ماء طازج , لأنني كنت عطشا جدا . في طريقي قطعت عصى قوية أدافع بها عن نفسي ضد أي حيوانات قد تهاجمني . بعد أن مشيت لبعض الوقت وجدت نبعا صافيا ، وبعد أن شربت كثيرا منه ، شعرت بأنني في حال أفضل كثيرا.

بدأ الظلام يخيم ، لذلك كان علي أن أجد مكانا أقضي فيه الليل . قررت أن آمن مكانا للنوم سيكون بين فروع شجرة . وجدت شجرة مناسبة ، تسلقتها ونمت مستريحا قدر ما أمكنني ذلك.

حين استيقظت كان الصباح قد طلع ، والعاصفة قد توقفت والسماء صافية . اندهشت لرؤيتي أن سفينتنا ، وخلال الليل ، كانت قد رفعتها الأمواج من ضفة الرمل , حيث كانت قد وصلت إلى الأرض ، وحملت إلى قاع الجروف . كانت تستقر على بعض الصخور تحت الماء وبدا أنها تقف قائمة.

بعد وقت قصير من منتصف النهار ، اختفت حركة المد ، ووجدت أنه يمكنني أن أمشي ضمن ربع ميل من السفينة . كنت مصمما على أن أصعد إلى ظهرها لأرى إذا ما كان يمكنني أن أجد أي شيئا سيكون نافعا لحياتي في الجزيرة . خلعت ملابسي وسبحت إلى السفينة . حين وصلت إليها وجدت حبلا يتدلى إلى جانبها .

بمساعدته أصبحت قادرا على التسلق إلى ظهر السفينة.
كان هناك الكثير جدا من الماء في مخزن السفينة ، بينما كانت مقدمات السفينة منخفضة جدا حتى أنها استقرت تحت الماء تقريبا . كانت المؤخرة خارج الماء تماما ، وكان كل شيء عند نهاية السفينة جافا . سررت في أ ن الكثير من الطعام على ظهر السفينة لم يكن قد مسه ماء البحر المالح . ولأنني كنت جائعا ، ملأت جيوبي بالبسكوت الذي أكلته وأنا أذهب متجولا في أنحاء السفينة.
رأيت أنني كنت سأحتاج إلى قارب لأحصل على كل ما أحتاج إليه في الشاطئ . وجدت بعض السواري الاإضافية وبعض ألواح الخشب . ربطت هذه في حبل وعكلت منها طوفا قويا قوة كفاية لحمل حمولة ثقيلة.
في بداية الأمر ، وضعت على طوفي كل ألواح الخشب التي أمكنني أن أجدها . ثم ملأت صندوقا خشبيا كبيرا بالخبز والجبن والأرز ، وبعض اللحم المجفف . في دكان النجار وجدت صندوقا مليئا بالأدوات . كانت هذه في تلك اللحظة أنفع لي من كيس ذهب ، فوضعتها بعيدا على ظهر الطو ف . احتجت إلى بندقية وبعض الذخيرة الاي وجدتها في مقصورة القبطان . كانت هناك بندقيتان ومسدسان ,أخذتها مع بعض قرون مسحوق البارود ، وكيس طلقات صغير وسيفين صدئين قديمين.
عرفت أنه في مكان ما في السفينة يوجد ثلاثة براميل من مسحوق البارود ، وبعد البحث وجدتها . كان برميلان منها جافين ، لكن الثالث كان قد تبلل وأصبح بلا نفع . وضعت البرميلين الجافين على ظهر الطوف مع البنادق والمسدسات.
كان لدي الآن ما يكفي من حمولة على ظهر الطوف لرحلة واحدة ، فبدأت أفكر في العودة إلى الشاطئ . وجدت أنه بلا أي شراع أو دفة توجيه لم يكن من السهل بأي وسيلة السيطرة على الطوف .
كان كل ما لدي ، لأوجه الطوف به ، مجذاف مكسور يستقر على ظهر السفينة .؟
كنت أبحث عن خليج صغير يمكنني استخدامه كميناء . بعد وهلة ، وجدت خليجا , ومن حسن الحظ أن حركة المد والجزر أخذت طوفي إلى داخله . من سوء حظي أنني وأنا أسلك طريقي إلى منتصف الخليج ، ضربت ضفة رمل وانغرز الطوف . لم يكن هناك من شيء سيمكنني من تحريك الطوف إلى حين يحل المد داخل الخليج.
بينما كنت أنتظر أن يحدث هذا ، نظرت بإمعان إلى الشاطئ على كلا جانبي الخليج.
احتجت إلى امتداد شاطئ منبسط رملي أرسي عليه حمولتي . وأسفر أول مكان اخترته أنه لم يكن مناسبا عند الفحص المدقق . كان هناك منحدر قد يقلب حمولتي الغالية التي جمعتها من المخازن إلى داخل الماء . على مسافة أبعد في الخليج لاحظت قطعة منبسطة على الشاطئ ظننت أنها ستغطيها حركة المدحين يصل إلى داخل الخليج.
بعد بضع ساعات كان هذا ما حدث ، وحالما غطى الرمل دفعت طوفي إلى الشاطئ .ثبته بغرز المجذاف المكسور في داخل الرمل

وانتظرت إلى أن ابتعدت حركة المد . بقي طوفي وكل حمولته سالما على الشاطئ.
على بعد حوالي ميل واحد مني كان هناك تل عال ، وبعد أن أخذت واحدة من بندقياتي ، انطلقت لأتسلق إلى القمة . أردت أن أرى أي نوع من المكان كان هذا الذي أتيت إليه . حين وصلت إلى القمة رأيت أنني كنت في جزيرة ، وأنه لم يكن هناك أي أرض في مجال البصر.
عدت إلى طوفي وأحضرت حمولته إلى الشاطئ بأسرع ما أمكنني ، حين كان الوقت يقترب من المساء ، استعلمت الصناديق وألواح الخشب التي أحضرتها لأعمل لنفسي مأوى بسيطا لليل.
قررت أن أحاول الحصول على ما يمكنني الحصول عليه من السفينة قبل أن تحطمها عاصفة أخرى وتكسرها إلى قطع . في زيارتي الثانية ، تسلقت إلى سطح السفينة كما في السابق وبنيت طوفا آخر . بعد تجربتي في اليوم السابق كان الطوف أخف كثيرا جدا ، ولم أضع فيه الكثير جدا من الحمولة.
أحضرت بعض المزيد من المسامير وبعض المزيد من الأدوات من دكان النجار . وجدت المزيد من المسدسات ، والطلقات ومسحوق البارود وبعض الملابس . وضعت هذه الأشياء على الطفو مع أشرعة إضافية ، وشبكة نوم وبعض الملآت.
حين بلغت الشاطئ ، بدأت أعمل لنصب خيمة صغيرة بالشراع وبعض الأعمدة التي قطعتها لهذا الغرض . حين أنهيت هذا ، جلبت إليها كل شيء عرفت بأنه سيتلف من المطر والشمس .

رتبت الصناديق الفارغة في دائرة حول الخيمة ، وعملت فراشا على الأرضية . حين أتمدد مستلقيا ، يكون لدي مسدسان قرب رأسي وبندقية إلى جانبي لحمايتي . كنت تعبا ، وكنت مشغولا طيلة النهار , وسرعان ما نمت.
في كل يوم من الآن ، حين تكون حركة المد قد انحسرت عن الخليج ، ذهبت وصعدت إلى ظهر السفينة . تدريجيا حضرت كل الأشرعة والتجهيزات ، حتى أنني أحضرت بعض كوابل الحديد ، لكن هذه أسفرت عن أنها أثقل من أن يحملها طوفي . في طريق العودة إلى الشاطئ ، انقلب الطوف وسقطت الكوابل في البحر . مع هذا , حين خرج المد أصبحت قادرا على استعادة الكوابل واحدا فواحدا . في واحدة من رحلاتي ، سررت لاكتشاف بعض المزيد من الطعام ، بما فيها السكر والخبز والدقيق.
سرعان ما ضللت الجزيرة مدة أسبوعين وقمت بإحدى عشر رحلة إلى السفينة . في رحلة أخيرة من كل هذه الرحلات لاحظت خزانة كنت قد أهملتها في السابق . كان فيها ثلاثة أمواس حلاقة ، ومقص كبير ودزينة من سكاكين جيدة وشوك . كانت هناك أيضا بعض النقود الأوروبية والبرازيلية ، تعادل حوالي ستة وثلاثين جنيها في المجموع . حتى الآن ، كنت قد أخذت من السفينة كل شيء ذا قيمة لي , وبدأت أدرس أين أعيش في الجزيرة . كانت خيمتي على أرض منخفضة إلى حد ما قرب البحر ، ولم أفكر بأنه سيكون من الصحي أن أعيش هناك لمدة طويلة جدا . كانت هناك أربع نقاط كان لابد أن أضعها في عقلي في اختيار موقع بيتي . في بداية كل

شيء ، احتجت إلى أن أجد مكانا سيكون صحيا وقرب بعض الماء العذب .ثانيا ، يجب أن تكون هناك حماية من حرارة الشمس . ثالثا ، يجب أن أكون آمنا من هجمات المتوحشين أو الحيوانات المفترسة . وآخر ما في الأمر , إذا صادف أن أتت سفينة قرب الجزيرة بالصدفة ، لن أغفل عنها.

****

الفصل الخامس
روبنسون كروزو يبني منزله

أخيرا وجدت مكانا مناسبا أعيش فيه . كان سهلا صغيرا على سفح تل . كان السهل يرتفع من التل حتى أن شيئا لم يكن يمكن أن يهبط علي من أعلى . كانت الأرض المنبسطة على مسافة حوالي مائتي ياردة طولا ومائة ياردة عرضا .انحدرت النهاية الأقرب من البحر إلى الأسفل بلطف نحو الأرض المنخفضة المؤدية إلى الشاطئ . كان السهل على جانب التل ، الذي كان محميا من الشمس حتى المساء.

قبل أن أنصب خيمتي ، وقفت وظهري إلى سفح التل ، مواجها البحر . خطوت عشر خطوات للأمام ووضعت علامة . ثم عدت إلى موضعي السابق وخطوت عشر خطوات , أولا إلى اليسار وبعدئذ إلى اليمين . جمعت هذه العلامات بحبل لتكون نصف دائرة . حول طرف نصف الدائرة ، وضعت صفين من أوتاد قوية . وقفت على بعد خمسة أقدام من الأرضية وكانت لها حافات حادة . ثم أخذت أطوال الكوابل , التي أخذتها من السفينة ، ووضعتها في صفوف الأوتاد . أخيرا ، قطعت بعض الأوتاد الأصغر ودفعت بها في داخل الأرض مكونة زاوية ، حتى أنها تصرفت كدعائم لأوتاد أكبر . كان السياج الآن قوي جدا حتى أنه لم يكن أي إنسان أو أي حيوان يستطيع أن يصل من فوقه أو من خلاله . خلفي ، كون جانب التل المنحدر دفاعا طبيعيا.

لم أضع فتحة باب كي أدخل إلى داخل الأوتاد ، بل استعملت سلما قصيرا لتسلق قمة السياج . حالما كنت أصل إلى الداخل كنت أرفع السلم وراني ، حتى أصبح محاطا بالسياج وسالما بالكامل .
أحضرت إلى الداخل كل ذخيرتي , وطعامي وخزيني.
عملت خيمة كبيرة من شراع القنب ووضعت خيمة أصغر بداخلها ، لكي أظل جافا تماما مهما كان المطر قاسيا . في الليل ، كنت أنام مستريحا جدا في شبكة نوم معلقة كانت تعود ذات مرة إلى أحد الضباط.
اعتدت كل يوم أن أخرج ببندقيتي ، وسرعان ما اكتشفت أن هناك ماعزا في الجزيرة . كانت خجولة جدا ، تجري بسرعة ، مما جعل من الصعب إطلاق النار عليها . لاحظت أنها لا تهرب بسرعة كبيرة ، إذا كانت تتغذى في الوديان وأكون أنا على الصخور فوقها . بعد ذلك تسلقت دائما الصخور أولا . كانت الماعز الأولى التي أطلقت النار عليها وأصبتها ماعز أنثى إلى جانبها جدي صغير هو ابنها . حملت الماعز الصغير إلى بيتي على كتفي وحاولت أدجنه . لسوء الحظ لم يكن ليأكل أيا من الطعام الذي قدمته إليه ، لذلك كان علي أن أقتله . زودني الماعزان بلحم طازج لبضعة أيام.
أدركت أنني سأفقد كل عد للزمن إلا إذا عملت نوعا ما من روزنامة . صنعت صليبا كبيرا من الخشب ووضعته على الشاطئ حيث رسوت . عليه نقشت الكلمات " : حللت على الشاطئ هنا في شهر أيلول الـ 30 في سنة 1659 " . على جوانب العمود القائم قطعت حزا بسكيني كل يوم . في كل يوم سابع كنت أقطع حزا بضعف طول هذا الطول . في اليوم الأول من كل شهر كنت أحز حزا ضعف هذا الحز ثانية . على هذا النحو علمت مرور الزمن.
كانت هناك الكثير من الأشياء الأخرى أحضرتها من السفينة كان يجب أن أذكرها في وقت سابق . كان لدي الآن إمداد من أقلام حبر وورق . ثم أحضرت كل معدات إبحار السفينة ، مثل البوصلات والخرائط البحرية . وجدت أيضا ثلاثة أناجيل جيدة جدا أتتي مع حمولتي من إنجلترا . ولابد ألا أنسى أن أخبركم بأنني أنقذت قطتين وكلبا من السفينة . حملت القطتين إلى الشاطئ ، بينما قفز الكلب في البحر وسبح حتى الشاطئ . كانت هذه المجموعة أصحابي في حياتي الموحشة.
جعل افتقاري للأدوات الصحيحة لأعمال أردت إنجازها عملي بطيئا جدا . كانت قد مضت سنة قبل أن أكون قد أعددت بيتي كما أردته . بعد أن أكملت السياج أعددت نفسي لصنع طاولة وكرسي . ثم عملت بعض الأرفف على الصخرة في خلفية خيمتي ، وأخيرا عملت حاملا يمكنني تعليق بندقياتي عليه.
حين انتهيت سررت سرورا عظيما في أن أرى كم من الأشياء الضرورية كانت لدي ، وكيف رتبتها كلها على نحو جيد.
في حوالي هذا الوقت بدأت أحتفظ بمذكرات لما أفعله كل يوم . أعيقت مهمتي في الكتابة بحقيقة أنه لم يك لدي أي شموع . حالما يحل الظلام ، في حوالي السابعة عادة ، كان علي أن آوي إلى الفراش . بعد بعض الوقت اكتشفت بأنني , بإبقائي بعض الدهن من أي ماعز أصيده ، كان يمكنني أن أصنع مصباحا , باستعمال قطعة

صغيرة من حبل كفتيلة . قدم إلي هذا ما يكفي من نور لأصبح قادرا على أن أرى لأكتب مذكراتي ، مع أنه لم يكن هناك في أي مكان تقريبا ما هو ساطع النور كشمعة.

ذات يوم ، حين كنت أبحث عن شيء ، عثرت صدفة على كيس صغير . في رحلتنا كنا قد حملنا بضع دجاجات ، وكان هذا الكيس قد حمل الذرة لها لتأكلها . بدا أن معظم الذرة التي بقيت في الكيس قد أكلتها الفئران ، لكن بعضها بقي في القاع .هززت البواقي على العشب خارج سياجي . كان هذا قبل أن يبدأ الموسم الممطر تماما . بعد حوالي شهر لاحظت بعض الشتلات الخضر تبرز من الأرض .بعد وهلة قصيرة ، اندهشت بأن رأيت بعد مدة تلك الشتلات تحولت إلى سوق شعير .حين نضج الحب فيما بعد احتفظت به بعناية وخططت أن أزرعه في السنة التالية . فعلت هذا لمدة سنين عديدة ومن ثم وجدت بأن لدي ما يكفي من الشعير لأصبح قادرا على استعمال بعضه لأغراض الخاصة . فعلت نفس الشيء مع بعض الرز الذي وجدته ، ومع الشعير أصبحت قادرا على صنع بعض الخبز وبعض كعك الرز.

****

الفصل السادس
روبنسون كروو يبدأ في اكتشاف جزيرته

في الخامس عشر من حزيران ، بعد أن ظللت الجزيرة عشرة أشهر ، بدأت أستكشف جزيرتي . في البداية ذهبت إلى أعلى النهر حيث كنت قد أحضرت طوفي إلى الشاطئ لأول مرة . يصبح النهر على مسافة ميلين من أعلى التيار ، أصغر كثيرا والماء نديا وصافيا . وفي اليوم التالي قطعت حتى مسافة أبعد داخل الجزيرة ووجدت أن المنطقة قد أصبحت مكسوة بالأشجار . كانت تنمو أنواع متنوعة من الفاكهة ، بما في هذا البطيخ والأعناب . أكلت بعض هذه الفاكهة ووفرت بعض الأعناب ، على نحو خاص ، لأكلها فيما بعد . جففت بعض الأعناب في الشمس , حتى أحصل على زبيب أكله حين لا تكون هناك فاكهة طازجة في الجوار.

لم أعد للبيت في تلك الليلة لكنني نمت ، كما نمت في ليلتي الأولى في الجزيرة ، على شجرة . في الصباح التالي مشيت حوالي أربعة أميال وحللت في أجمل الوديان . هنا كان يوجد ينبوع صغير وبدا كل مكان أخضر ومبهجا للنفس . بدا تقريبا مثل حديقة زرعت خصيصا بالفاكهة والأزهار.

أحببت المكان كثيرا جدا حتى أنني غالبا ما عدت هنا حخلال شهر تموز . فكرت تقريبا بالعيش هنا على نحو دائم ، لكنني قررت ضد هذا حيث أن الوادي كان بعيدا جدا عن الشاطئ . بدلا من هذا ، قررت أن أبني مأوى صغيرا حتى يمكنني أن آتي وأبقى حينما

أحب.
بدأت العمل على الفور ، بانيا إياه حسب تصميم بيتي الأول . كان له سياج حوله كله وكنت أدخل إليه عن طريق سلم . بحلول بداية شهر آب كان العمل قد انتهى . كانت الأعناب التي جنعتها في وقت مبكر قد أصبحت الآن جافة تماما , وأنزلت الكتل من على الشجرة حيث كانت معلقة . حين عدت إلى بيتي على الساحل أخذت معي بعض الزبيب . كنت مسرورا جدا بأنني فعلت هذا لأن السماء بدأت تمطر مطرا غزيرا بعد أسبوعين . أمطرت كل يوم بعد ذلك إلى منتصف شهر تشرين .أحيانا أمطرت بغزارة شديدة حتى أنني لم أستطع طيلة أيام بلا انقطاع أن أترك بيتي.
حالما توقفت الأمطار وأصبح الطقس مستقرا ، قمت برحلة مرة أخرى إلى أعلى النهر . في الوادي وجدت كل شيء تماما كما تركته . كانت الأوتاد ، التي غرستها داخل الأرض ، قد امتدت جذورها وحلت الشتلات الخضر في كل مكان يرى . مع مرور الأيام ، أصبحت قادرا على تقليمها حتى أن بيتي أصبح محاطا بسياج طويل أخضر . قررت أن أقطع بعض المزيد من الأوتاد لأعود بها إلى الساحل معي , لأرى ما إذا كان يمكنني أن أزلاع سياجا مشابها حول بيتي الأول . استعلمت الفروع الأصغر من هذه الأوتاد لحبك سلاسل . كانت محاولاتي الأولى في هذا خاما إلى حد ما ، لكن بعد وقت أصبحت قادرا على أن أصنع سلة خدمت غرضي جيدا إلى حد كاف.
أردت أن أرى كيف يبدو الجانب الآخر من الجزيرة . لذلك أخذت بندقيتي , والفأس والكلب ، وكمية من الطعام وانطلقت . حين كنت قد سافرت لبعد كاف لأرى الساحل ، رأيت بأن هناك جزيرة أخرى على بعد حوالي عشرين ميلا . عند لالوصول إلى الشاطئ الآخر من الجزيرة ، سرعان ما وصلت إلى استنتاج أن هذا سيكون أفضل جانب للجزيرة للعيش فيه.
هناك بدا أنه يوجد عدد كبير من السلاحف على الشاطئ . على جانبي من الجزيرة رأيت ثلاث سلاحف فقط طيلة إقامتي كلها .وجد أيضا كثيرا من الطيور هنا , بما في هذا بعض ما منها ميزت كطيور بطريق . كان هناك المزيد من الماعز أيضا ، لكن ، ولأن المنطقة كانت منبسطة ، كان من الأصعب علي أن أصيدها بإطلاق النار عليها . استكشفت الشاطئ لمسافة اثني عشر ميلا قبل أن أعود . نصبت عمودا كبيرا في الرمل لأحدد بعلامة أين كنت قد وصلت ، وقررت أن أمشي حول الجزيرة في الاتجاه الآخر في تاريخ لاحق إلى أن أقابل عمودي.
أخيرا سلكت طريقي عائدا إلى بيتي الذي سررت كثيرا جدا في أن أراه ثانية .كنت الآن في الجزيرة لمدة سنتين دون أن تظهر علامة تدل على منقذ.
كنت أتوق للحصول على محصول جيد من الشعير والرز بعد موسم المطر. كان علي أولا أن أتعامل مع نمطين من الأعداء . عدمن مخلوقات طويلة الأرجل ، بدوٌ مثل أرانب برية ظهرت وكانت ستأكل كل الشتلات الخضراء . سرعان ما عملت سياجا أحاط بالمحصول ، وفي الليل ربطت كلبي به . أبعد هذا الأرانب

البرية , وما كدت أن أنهي السياج حتى بدأت أسراب طيور في الهجوم على الحب قبل أن ينضج . كان التعامل معها أصعب بكثير من التعامل مع الأرانب البرية . حين أطلقت نار بندقيتي ابتعدت ، لكن إلى مسافة تصل إلى الأشجار . ما كان ظهري يستدير حتى تعود كلها طائرة إلى الحقل.
قررت أنني سأعلق أجسام الطيور التي أصطادها على الحقل . أملت أن يخيف هذا الطيور الأخرى ويبعدها . لدهشتي وفرحتي هذا ما حدث ولم أعد أنزعج من الطيور ثانية . لذلك ، وفي نهاية شهر كانون الأول أصبحت قادرا على حصد غلتي وجمعت في كيسين رزا في كيسين ونصف كيس شعيرا . كنت راضيا جدا من هذا المحصول.
خلال موسم المطر أبقيت نفسي منشغلا بكل أنواع التجارب . كانت واحدة من هذه التجارب صنع قوارير وجرار أخزن فيها الطعام والماء . فكرت أنني إذا وجدت مزيدا من الصلصال فسأتمكن من صنع بضع جرار . أملت أن الجرار ، حين تحمص , ستكون قوية قوة كافية وقاسية تماما لأستعملها . في البداية , تفتت الثير من جراري ، فلم يكن الصلصال قاسيا إلى حد كاف لحمل ثقلها نفسه . تشققت جرار أخرى لأنني أبقيتها في الخارج في الشمس مدة طويلة جدا . بعد شهرين من العمل الشاق تمكنت من صنع جرتين كبيرتين . كانتا غير جيدتي الشكل وقبيحتين ، لكنني كنت قادرا على استخدامها لخزن الحبوب.
لكنهما لم تستوعبا الماء . كيف يمكن فعل هذا ؟ فكرت بالمشكلة لمدة طويلة من الزمن وبعدئذ توصلت إلى الحل بالصدفة . ذات يوم أشعلت نارا كبيرة لأتمكن من طبخ بعض لحم الماعز . بعد أن أنهيت الطبخ لاحظت قطعة مكسورة من الفخار في النار . كانت قد احترقت وتقست وأصبحت كحجر وكانت حمراء كطوبة . جعلني هذا أفكر كيف يمكنني أن أفكر كيف يمكنني ترتيب ناري حتى أحمص الفخاريات كلها.
في المرة التالية التي حاولت فيها صنع الفخار رتبت ناري حولها . ظللت أضع المزيد والمزيد من الخشب على النار إلى أن رأيت بأن الفخار أصبح ساخنا إلى درجة الاحمرار . أبقيتها في تلك الحرارة لخمس ساعات ثم وببطء تركت النار تخمد . راقبت الفخار طيلة الليل حتى لا تخمد النار بسرعة أكثر من اللازم . في الصباح وجدت أنني في هذه المرة صنعت بعض أوعية طبخ فخارية جيدة جدا , وإن لم تكن جميلة . كنت مسرورا جدا بعملي حتى أنني بالكاد انتظرت حتى بردت الأوعية الفخارية قبل أن أختبرها . ملأت واحدة من الأوعية الفخارية بالماء حالما بردت ، وغليت الماء . لم يتسرب الماء من الوعاء ، فأضفت بعض اللحم ووجدت أنني يمكنني أن أصنع حساء جيدا جدا . الآن وقد أصبح لدي الكثير جدا من الحبوب أصبحت قادرا على أن أصنع خبزا . احتجت إلى هاون لسحب الحبوب . لم أستطع أن أجد حجرا مناسبا لذلك استعملت كتلة من خشب قاس جدا . عملت تجويفا صغيرا في وسطها بحرق الخشب وصنعت مطرقة من خشب معروف بخشب الحديد.

كانت مشكلتي التالية هي فصل القشرة عن الدقيق . أخيرا وجدت بعض القماش المصلي بين رزمة القماش التي أحضرتها من السفينة.
وقامت هذه بعمل منخل لعدة سنين.
كنت الآن مستعدا تماما لأبدأ الخبز ، لكن كان علي أولا أن أضع تصميم فرن . هذا ما فعلته . صنعت مدفأة من آجر خبزته بنفسي . ثم صنعت بعض الأغطية الفخارية بطول حوالي قدمين وعرض تسعة بوصات . أشعلت مارا عللى الآجر إلى أن أصبحت ساخنة حقا . ثم كنست النار وأبعدتها ووضعت خبزي على الآجر وغطيتها كلها . ثم أشعلت النار حولها لها وتركت الخبز يخبز . وجدت أنني يمكنني ، بهذه الطريقة ، أن أصنع لا خبزا فقط بل معجنة أيضا.

****

الفصل السابع
روبنسون كروزو يبني قارب

بدأت ملابسي تتساقط قطعا متناثرة . كان لدي الوفير من القمصان لكنني كنت أفتقر إلى البناطيل وسترات قصيرة . حل الوقت الآن كي أحاول مهارتي كخياط . كان لدي عدد من جلد الماعز أخذته من الحيوانات التي قنصتها بطلق النار عليها . مططت هذه الجلود وجعلتها تجف في الشمس . كان أول شيء صنعته هو قبعة ,قم سترة وبنطالا ، ناسبتني هذه على نحو سيئ جدا لكنها أبقتني باردا في الطقس الحار وجافا في المطر . أنفقت الكثير من الوقت والجهد في صنع مظلة . كنت قد رأيتها تصنع في البرازيل لكنني قمت بعدة محاولات قبل أن أنجح . المشكلة كانت أن أصنع مظلة تطوى على الفور حين ترفع . أخيرا أصبحت قادرا على صنع إطار سيهبط بها ، وغطيته بجلد ماعز . أمكنني الآن أن أخرج ، ليس فقط حين كانت تمطر ، بل أيضا في الضقس الأكثر حرارة.
طيلة هذا الوقت لم تبتعد فكرة الهرب من الجزيرة أبدا عن عقلي . تمنيت لو ظل قصوري معي وقارب الصيد بالشراع الطويل . كنت قد أبحرت تقريبا مسافة ألف ميل على طول الساحل الإفريقي فيه . ذكرني هذا بأحد قوارب سفينتنا الذي اكتسح ودفع إلى الشاطئ في جزء آخر من الجزيرة . فكرت بأنني سأذهب وألقي نظرة لأرى إن كان يمكن أن يصلح . كان القارب لا سزال في الرمل حيث كانت العاصفة قد تركته . كان قد قلب وفيه ثقب كبير في أحد

جوانبه . سرعان ما رأيت أنه يمكن أن يستخدم بعد وقت قصير.
لذلك قلبت أفكاري في صنع (كانو) من جذع شجرة كبيرة . كنت متلهفا جدا في صنع هذا الكانو حتى أنني لم أكف عن التفكير بالصعوبات التي قد تواجهني . لم يخطر ببالي أنني قد لا أكون قادرا على تنفيذ التصميم . ولم أفكر كيف يمكن أن أوصل قارب الكانو إلى داخل الماء حين أنهيه.
وجدت شجرة أرز هائلة الحجم بعرض ستة أقدام عند قاع الجذع . بالأدوات البسيطة التي كانت لدي ، استغرقت وقتا طويلا في قطع الشجرة وقطع كل الفروع . حين فعلت ذلك كانت لا تزال هناك مهمة تشكيل الجذع إلى شيء مثل القارب . بعد أسابيع من عمل شاق صنعت قاربي الكانو كبيرا إلى حد كاف ليستوعبني ويستوعب أي حمولة أريد أن أحملها معي.
كانت مشكلتي التالية هي كيف أصل به إلى الماء . كانت المسافة حوالي مائة ياردة من حيث صنعت قارب الكانو حتى البحر . خططت أن أحفر الرمل لأسمح للماء بالتدفق حو الكانو ، فيطفو خارجا إلى البحر بنفسه . بدأت أحفر قناة صغيرة بعرض ستة أقدام تقريبا وعمق أربعة أقدام . مع أن القناة استغرقت وقتا طويلا في حفرها ، لم أضن على نفسي في الوقت والطاقة المبذولة في الحفر ,بسبب أن لدي الآن قارب أستطيع أن أذهب إلى البحر به . أخيرا انتهت القناة وأصبحت قادرا على طفو قاربي الكانو في الخليج . صنعت سارية وشراعع أيضا من بعض شراع السفينة القديمة ، ووجدت بهذه أن قاربي الكانو يبر بشكل جيد جدا . صنعت أيضا بعض الخزائن الصغيرة لأتمكن من أخذ ما يكفي من طعام لرحلات أطول إذا رغبت في هذا . ثبت مظلتي في مؤخرة القارب الكانو لتعطيني ملاذا من الشمس وأنا أوجهه . كان هناك أيضا رف لبندقيتي حيث كان من السهل الوصول إليها ، لكن دون أن تتعرض لخطر إصابتها بالبلل.
حين جهزت كل شيء احتجته في قاربي الكانو ، قررت أن أبحر حول الجزيرة . مأت خزانني بالطعام وانطلقت برحلتي في السادس من تشرين الثاني . كان علي أن أبحر إلى مسافة أبعد مما توقعت ، لأن الصخور في النهاية الشرقية من الجزيرة تمتد بعيدا داخل البحر . حين وصلت إلى أمام هذه الصخور رأيت أمامي خليجا حيث كان الماء سلسا . وجهت قاربي الكانو نحو هذا الخليج ، وعند الوصول إليه أحضرت قاربي لصق الشاطئ . ربطته إلى الشجرة ، وأمضيت الليلة بين فروعها.
في الصباح بحثت عن خليج آخر حيث استطعت أن أرسي قاربا في أمان بينما رحت أستكشف المنطقة الريفية . كنت محظوظا إلى حد كاف في أن أجد مرفأ مناسبا تماما وليس بعيدا . استقر قاربي فيه ، كأنه في رصيف رسو صنع خصيصا له.
عند الذهاب إلى الشاطئ اكتشفت أنني كنت قريبا تماما من العمود الذي وضعته منتصبا في الرمل لأحدد بعلامة مكان رحلتي السابقة ، ولذلك ، كنت قرب منزلي في الوادي تماما . حين وصلت إليه ، كان من السار جدا أن أرى كل شيء مرتبا . تسبقت السياج ، ودخلت المنزل وسرعان ما هيأت نفسي لأكون في بيتي.

بعد إقامة ثلاثة أيام اتجهت عائدا عبر الجزيرة . تركت قاربي الكانو في مرفأه ، لأنني أردت أن أتأكد من حركت المد والجزر حول الجزيرة قبل أن أحاول أن أبحر عائدا . كنت قلقا أيضاص في أن أصل البيت بأسرع ما أستطيع ، حتى لا تأكل الطيور والأرانب البرية محصولي من الرز والشعير.

ذات يوم ، ليس بوقت بعيد من هذا ، سلكت طريقي إلى ذلك الجزء من الجزيرة حيث الصخور تمتد خارجة إلى البحر . وأنا أمشي فكرت بالمشهد العجيب الذي لابد أن أنظر إليه . حتى الآن ، كانت كل ملابسي السليمة قد اهترأت تماما ، وقد صنعت بنفسي كل شيء كنت ألبسه . كانت الطاقية على رأسي مصنوعة من جلد الماعز وليس لها شكل مهما كان نوعه . كان لها رفرف يسقط على رقبتي ويقيني من الشمس والمطر . انسدلت السترة المصنوعة من جلد الماعز إلى أسفل الخصر ,ولبست بنطالا من المادة نفسها ، انسدل حتى أسفل الركبتين.

لم يكن لدي حذاء ولا جوارب . حول خصري كان هناك حزام مع أنشوطتيْن جلديتين حملت فيهما فأسا ومنشارا . ارتفع حزام آخر أضيق فوق كتفي . كان فيه جيبان حيث احتفظت بمسحوق البارود وطلقة لبندقيتي . على ظهري حملت سلتي ,وحملت بندقيتي على كتفي ، وفوق كل هذا استقرت مظلتي المصنوعة من جلد الماعز . وأنا ألبس عل هذا النحو شققت طريقي إلى الجزيرة وابتعدت عن البيت طيلة ستة أيام . حين بلغت مقصدي ، رأيت أن البحر كان هادئا وسلسا . لو اخترت الوقت اختيارا صحيحا ، وطبقا لحركة المد والجزر ، لما كان هناك سبب لعد إحضاري قاربي الكانو عائدا إلى هنا بأمان مرة أخرى.

****

الفصل الثامن
اكتشاف غريب

ذات يوم في حوالي الظهر , بينما كنت أمشي على شاطئ البحر ، اكتشفت اكتشافا غريبا جدا . انزعجت من رؤيتي آثار قدم رجل حافية في الرمل . وقفت كما لو كنت قد صعقت برعد . أصغيت ونظرت حولي ، لكن لم يكن هناك أيش شيء يرى أو يسمع . تسلقت تلا صغيرا لأرى إلى مسافة أبعد . صعدت إلى أعلى الشاطئ وأسفله ، لكن لم يكن هناك أي علامة قدم أخرى ترى . كيف حدث أن توجد هناك , لم أعرف ، كما لم أستطع أن أتخيل هذا.

في طريقي إلى البيت توقفت كل خطوتين أو ثلاث خطوات لأنظر خلفي ، تخيلت أن كل جذل شجرة في مكان بعيد كان متوحشا ينتظرني . في تلك الليلة لم أستطع أن أنام للتفكير فيما قد رأيته . كيف وصل أثر ذلك القدم إلى هناك ؟ أي سفينة أتتي إلى الجزيرة قررت أن بعض المتوحشين أتوا من البر الرئيسي ، وقد دفعتهم الريح إلى الجزيرة وأنهم رحلوا الآن . سررت سرورا عظيما من أنهم لم يروني . ثم قلقت قلقا كبيرا فيما إذا كانوا قد رأوا بيتي . إذا فكروا بأن شخصا كان يعيش هناك ، فلابد أنهم سيعودون بالتأكيد بأعداد أكبر ليدمروا بيتي ويحملوا حيواناتي معهم.

قررت أن أقوم بشيئين اثنين .في البداية كنت سأقوي الدفاعات حول منزلي . كنت سأفعل هذا ببناء جدار آخر خارج سوري الأول . ثانيا : أردت أن أحمي قطيعي من الماعز وأعثر على مكان آمن له ليعيش فيه.

بنيت السور الثاني , مستخدما كل الخشب الإضافي الذي كان لدي . وقويته بباقي كوابل السفينة . خلف السور ، حملت ترابا وككته في موقعه إلى ارتفاع عشرة أقدام . في هذا السور فتحت سبع فتحات حتى أتمكن من أن أطلق النار دون أن أرى أنا نفسي . حين انتهى السور غرست عددا كبيرا من الأشجار الصغيرة في الخارج . نمت بسرعة كبيرة وكونت غابة كثيفة تماما . أخفت بيتي عن البصر ، حتى أنه كان من الصعب تصديق أن هناك أي شيء أو أي شخص خلفه.

لم يكن علي البحث طويلا عن مكان لماعزي ليعيش فيه . سرعان ما عثرت على قطعة أرض مثالية في منتصف غابة كثيفة . سيجتها من جميع الجهات ، وقبل مرور وقت طويل وضعت قطيعي ليعيش هناك.

ذات يوم ، بينما كنت مشغولا في البحث عن هذا المكان لماعزي ، اقتربت من الساحل . نظرت إلى البحر وظننت أني رأيت سفينة . كانت على مسافة بعيدة , ولم أستطع أن أحدد طبيعتها ، مع أنه كان لدي مرقاب . لم أعرف ما إذا كانت سفينة أو لا . بينما أنا أبتعد لم أستطع رؤيتها مرة أخرى لذلك كففت عن النظر ، لكنني قررت أنني لن أخرج دون أن آخذ مرقابي معي.

في طريقي إلى البيت في ذلك اليوم سلكت طريقي على طول الشاطئ . هنا رأيت شيئا ملأني في الرعب . جماجم وأيدي وأقدام وعظام بشرية كانت منتشرة على الرمل . رأيت أين كانت توجد نار وأين كان يجلس أولئك الذين كانوا يولمون لأكل ضحاياهم البؤساء .خفت خوفا شديدا مما رأيت حتى أنني أشحت بوجهي بعيدا بعيدا عن المشهد الشنيع وسلكت طريقي إلى البيت بأسرع ما أستطيع.

أحسست بالأمان وأنا في البيت وأنا أعرف أن المتوحشين لم يأتوا إلى الجزيرة ليروا مي يمكنهم العثور عليه . بقيت هنا طيلة ثمانية عسشر سنة قبل أن حتى قد رأيت خطى أقدامهم .بوجود بيتي المخفي جيدا كان يمكنني أن أظل هنا لمدة ثمانية عشرة سنة أخرى ولن أكتشف . مع هذا ظللت حذرا وخفت أن أطلق بندقياتي لبعض الوقت . من الآن فصاعدا لن أخرج دون أن أحمل بندقيتي وثلاث مسدسات . في حزامي حملت خنجرا طويلا وعلى جنبي تدلى سيف . كنت هكذا جاهزا لأن أقابل أي شخص يريد أن يهاجمني.

لم آخذ قاربي الكانو حول الجانب الأبعد من الجزيرة ، فهذا بدا أنه الجانب الذي يستعملونه في أغلب الأوقات.

كنت أيضا حريصا على النيران التي أشعلها فأنا لم أرد أن يخون الدخان حضوري. اعتدت أن أطبخ طعامي وأخبز خبزي بنيران من الفحم . فعلت هذا في جزء موحش من الجزيرة كما رأيت هذا يجري في إنجلترا . ذات يوم ، حين كنت أقطع بعض الخشب لأحرقه ولأكون منه فحما ، رأيت عينان لامعتين تراقبانني من أعماق كهف صغير . أخذت فرعا محترقا من النار ورفعته عاليا في الهواء لأرى إلى من تعود هاتين العينين . اطمأننت تماما في أن أكتشف أنهما كانتا عيني ماعز عجوز جدا أتتي إلى الكهف لتموت . في اليوم التالي عدت إلى الكهف واستكشفته على نحو أكثر اكتمالا . وجدت أنه سيكون مكان اختباؤ مثاليا إذا احتجت إلى مكان كهذا في أي وقت من الأوقات . أقنعت نفسي أنني ، حتى لو كان هناك خمسمائة متوحش يطاردونني ، سأكون آمنا هنا.

كان الشهر الأول هو كانون الأول في سنتي الثالثة والعشرين في الجزيرة وكان حصادي جاهزا مرة أخرى . كنت قد خرجت إلى حقولي لمدة طويلة من الزمن في النهار . ذات نهار ، خرجت قبل أن يكون نور النهار قد بزغ تماما ورأيت نور نار على الشاطئ على بعد ميلين . كانت هذه أول مرة يأتي فيها المتوحشون إلى جانبي من الجزيرة . لم أكن سعيدا إطلاقا باكتشافي.

ذهبت مباشرة إلى بيتي وأعددت بندقياتي في حالة ما إذا هوجمت . توقعت أن يأتي المتوحشون في أي دقيقة . بعد ساعتين ، حين لم يحدث أي شيء ، ثار فضولي إلى حد أنني كان يجب أن أخرج . تسلقت التل خلف بيتي واستلقيت على بطني . رأيت أن هناك تسعة متوحشين يجلسون حول النار . افترضت أنهم يستعملونها لطبخ وجبتهم من اللحم البشري . كان معهما قاربا كانو جروهما جيدا إلى أعلى الشاطئ . فيما كان المد قد ابتعد في البحر عرفت أنه لابد أنهم ينتظرون هذه الحركة لتدخل الجزيرة الثانية . بعد لحظة نهض المتوحشون وبدأوا يرقصون حول النار . استمروا في

الرقص مدة ساعة تقريبا ، أثناءها تحول المد وبدأ يدخل الجزيرة ثانية . بعد ذلك بوقت قصير انطلقوا بقواربهم الكانو وجذفوا مبتعدين .
حالما ابتعدوا هبطت إلى الشاطئ . حولي تماما ظهر مزيد من دليل سلوكهم المرعب . تناثرت عظام ودم ونتف من أجساد البشر في الرمل . كنت غاضبا جدا لدرجة أنني قررت أن أقضي على المجموعة التالية من المتوحشين الذين يأتون إلى جزيرتي ، مهما كانت هويتهم.
بعد ذلك لم يزرني أحد من الزوار لعدة أشهر . في حوالي منتصف شهر أيار في السنة التالية حدث حادث أخرج المتوحشين من عقلي مؤقتا . سمعت ما بدا لي أنه مثل صوت بندقية أطلقت على البحر . تسلقت التل بأسرع ما تمكن ونظرت إلى البحر . بعد وقت قصير انطلق وميض طبقة أخرى . من اتجاهها حددت أن الطلقة أتت من سفينة قرب الصخور عند نهاية الجزيرة . فيما أنا أفكر أن لابد أن توجد سفينة في محنة في الخارج ، جمعت كل الخشب الجاف الذي أمكنني أن أجده . أشعلت نارا جيدة على قمة التل وأبقيتها تحترق طيلة الليل.
حين عم النور تمكنت من أن أتبين شيئ على بعد طويل في النهاية البعيدة من الجزيرة . كان الطقس مضببا إلى حد ما ولم يكن مرقابي قويا قوة كافية لأتمكن من أن أتبين ماذا كانت . خلال النهار نظرت إليها كثيرا ، ولأنها لم تتحرك استنتجت أنها سفينة راسية بمرساة . كنت متلهفا جدا ، كما يمكنك أن تتخيل ، لأكتشف المزيد عنها ، وانطلقت في اتجاهها باقيا قرب الشاطئ.
وأنا أقترب وجدت أن السفينة كانت قد تحطمت على الصخور . أي خيبة أمل شعرت بها وأي حزن على أولئك الذين فقدوا أرواحهم شعرت به!
فكرت : " أوه ، لو أن واحدا من الرجال أو اثنين أنقذ من هذه السفينة . كم هو جيد لو كان هناك رفيق أتكلم إليه" .
طيلة الوقت كله الذي ظللت فيه في الجزيرة لم أشعر أبدا بالحاجة إلى رفيق إلى هذا الحد من الإلحاح كما شعرت الآن . كما لم آسف في السابق على عدم وجود أي شخص معي كأسفي الآن .بعد بضعة أيام مررت بتجربة حزينة في العثور على واحد من طاقم البحارة , ولد يافع ، غريقا على الشاطئ . في جيبه كانت توجد عملتان معدنيتان وغليون تبغ.
أردت أن أزور حطام هذه السفينة . فكرت أنه من الممكن أن أجد شخصا حيا على ظهر السفينة . حتى إذا لم أجد شخصا حيا لم يساورني شك بأنه سيكون هناك أشياء ذات نفع لي يمكنني أن أحضرها معي إلى البيت.
لكي أعيد أكبر عدد ممكن من الحطام أخذت قاربي الكانو . كانت التيارات مناسبة وفي أقل من ساعتين وصلت إلى السفينة . كانت ذات مرة سفينة رائعة شيدت في أسبانيا . استقرت الآن وقيدومها غارز بثبات بين صخرتين . كانت كلتا الساريتين مكسورتين وكانت المؤخرة كلها قد حملت بعيدا.
حين اقتربت من السفينة ظهر كلب ، نبح وصاح ، وحالما ناديت

عليه قفز إلى البحر وسبح إلى قاربي الكانو .حين أوصلته إلى ظهر قاربي الكانو وجدت أنه كان جائعا وعطشا جدا . أعطيته بعض الخبز وبعض الماء ، أنهاهما كليهما بسرعة بالغة.
بعد هذا صعدت إلى الحطام . كان أحد أول الأشياء التي رأيتها جسديْ رجلين غارقين في المطبخ . انطرحا حيث كانا قد سقطا وذراعا كل منهما حول الآخر . باستثناء الكلب لم يكن هناك أي شيء حي آخر على ظهر السفينة . كان كل الطعام قد تلف من ماء البحر . كل ما استطعت العثور عليه ، مما فكرت أنه قد يكون نافعا لي ، صندوقان أخذتهما إلى قاربي الكانو.
حين فتحت الصندوين فيما بعد وجدت في أحدهما بعض النبيذ والحلوى وعددا من قمصان بيض ، ومناديل وبعض الأوشحة الملونة . إضافة إلى هذا ، كان هناك ثلاثة أكياس تحتوي على عملات معدنية فضية . لابد أنه كان هناك ما يزيد عن ألف قطعة عملة معدنية في المجموع . كان هناك أيضا بعض قضبان ذهب صغيرة . واحتوى الصندوق الآخر ملابس . لم يكن لدي من نفع للنقود ، لكنكم يمكنكم تخيل كم كنت مسرورا في أن أجد الملابس.

****

الفصل التاسع
روبنسون كروزو يكسب رفيق

ذات صباح رأيت خمسة قوارب كانو في جانبي من الجزيرة . عرفت أن خمسة أو ستة رجال أتوا في كل قارب . لم أرد أن أتعامل مع ثلاثين رجلا تقريبا ، وهكذا عدت إلى بيتي واستعددت أن أدافع عن نفسي في حالة وقوع هجوم . حين لم يحدث أي شيء أخذت بندقيتي ومرقابي وتسلقت التل لأرى ما يمكنني اكتشافه عن المجموعة.
رأيت أن هناك أقل من ثلاثين من المتوحشين وأنهم سبق وأشعلوا نارا . كان لديهم سجينان في أحد قوارب الكانو . فكرت فقط بأنهما سيؤكلان بعد وهلة وجيزة . حتى بينما كنت أراقب , جر أحد السجناء من قارب الكانو وضرب حتى فقد الوعي . على الفور بدأ اثنان من المتوحشين في قطع جسده بالسكاكين ويرمي قطع اللحم في وعاء فخار على النار.
في أثناء هذا ترك السجين الآخر لوحده إلى أن يستعد المتوحشين لقتله أيضا . رأى أن لديه فرصة للهرب وبدأ ، بعد أن قفز خارجا من قارب الكانو ، يجري بسرعة الرمال باتجاهي . كنت خائفا جدا في البداية في حالة إذا ما طورد من قبل المتوحشين كلهم . لكن ، حين نظرت ثانية ، رأيت أن ثلاثة متوحسين فقط يلحقونه . قبل أن يستطيع الوصول إلى بيتي كان يجب عليه أن يعبر الخليج . فعل

هذا بسهولة كبيرة فقد كان سباحا جيدا . ما إن عبر النهر استمر في الجري في اتجاه بيتي . استطاع اثنان فقط أن يسبحا واستدار الثالث ومشى ببطء عائدا على طول الشاطئ . سبح الآخران عبر النهر بأبطأ من السجين الهارب حتى أنه ابتعد عنهما طيلةالوقت.
فيما كنت أراقب من التل خطرت ببالي فجأة فكرة . هذه هي فرصتي لا في إنقاذ الرجل المسكين فقط بل أن أكسب خادما ورفيقا أيضا . نزلت إلى أسفل التل ووصلت إلى مكان بين السجين وملاحقيه الاثنين.
حين وصل إلي المتوحش الأول أسرعت إليه وطرحته أرضا بنهاية بندقيتي . لم أرد أن أطلق النار منها ، لو أمكنني هذا ، حتى لا يسمع المتوحشون الآخرون الطلقة ويهاجمونني . مع هذا عندما أتى المتوحش الثاني كان لديه قوس وسهم . سحب قوسه ليطلقه علي , وهكذا لم يكن لدي أي اختيار سوى إطلاق النار عليه .
أطلقت النار وقتلته على الفور.
خاف السجين المسكين من تجربته خوفا شديدا إلى حد أنه وقف ساكنا . مع أنه رأى كلا عدويه يستقران على الأرض لم يتقدم ولم يرجع إلى الخلف . أشرت إليه ليقترب ففهم بسهولة . خطا بضع خطوات إلى الأمام ثم توقف ثانية . وقف مرتجفا كأنه توقع أن أطلق النار عليه أيضا . أشرت إليه كل إشارة تشجيع أمكنني التفكير فيها وابتسمت له . أخيرا تقدم مباشرة إلى وركع عند قدمي .قبل الأرض أمامي وأخذ قدمي ووضعها على رأسه . أخذت هذه بأنها طريقته للقسم على أن يكون خادمي إلى الأبد.

حين رفعته على قدميه بدأ يتكلم إلي . لم أفهم كلمة مما كان يقوله ، لكنه كان من السار جدا سماعه . كان الصوت البشري الأول الذي سمعته منذ خمسة وعشرين سنة.
بدأ المتوحش الأول الذي طرحته يستعيد قواه ويجلس معتدلا . حين رأيت هذا سددت بندقيتي عليه كأنني سأطلق النار . أشار خادمي ، كما سأدعوه الآن , إشارة لي . أراد السيف الذي تدلى من حزامي . حين أعطيته له جرى نحو عدوه وقطع رأسه وفصله عن جسمه . ثم وبابتسامة نصر جرى نحوي ووضع السيف ورأسه عند قدمي .
لم يفهم كيف قتلت المتوحش الآخر من هذه المسافة . أشار إليه وأشار إشارات إلي بأن أسمح له بأن يذهب إليه . حين أتى إلى المتوحش بدا مرتبكا جدا . أدار الجثة أولا على جانب ثم على جانب آخر ونظر إلى الجرح الذي أصابته به البندقية . ثم جمع القوس والسهم وأعادهما إلي.
استدرت لأبتعد وأشرت إليه إشارات بأن يتبعني . لم أرد أن أكون قريبا حين يأتي المتوحشون الآخرون بحثا عن الرجلين الميتين . أشار خادمي لي بأننا يجب أن ندفن الجثتين قبل أن نغادر . بدأ العمل بسرعة وحفر حفرة في الأرض بيديه وجر الجثة الأولى أولا . غطاها نهائيا ثم بدأ في حفر حفرة ثانية . عمل بسرعة كبيرة حتى أنه أكمل عمله خلال ربع ساعة . ثم أخذته إلى الكهف الذي وجدته في النهاية الأقصى من الجزيرة.
هنا أعطيته بعض الخبز والزبيب وبعض الماء ليشربه . وجدت أنه كان جائعا وعطشا جدا . حين أنهى طعامه أشرت إلى بعض القش

الذي له بطانية مفرودة على قمته . تمدد وسرعان ما نام . أظن أنه كان منهكا تماما من تجاربه.
فيما هو يتمدد نائما أصبحت قادرا على أن أنظر إليه بإمعان أكثر . كان جيد البنيان والمظهر مع رجلين مستقيمتين وقويتين .
افترضت أنه كان في حوالي السادسة والعشرين . كان شعره أسود وطويلا ، ليس مجعدا كصوف . كان وجهه مستديرا ، وكان أنفه صغير لكنه سمين ، وكان له فم جيد جدا بشفتين رفيعتين .كانت أسناه الرائعة جيدة الوضع وبيض كعاج.
حين استيقظ بدأت أتكلم إليه وعلمته كيف يتكلم إلي . أولا علمته أن يقول اسمه . دعوته جمعة باسم اليوم الذي أنقذته فيه . وعلمته أن يقول : " سيدي " . وتركته يعرف بأن ذلك سيكون اسمي . بقينا في الكهف طيلة الليل ، لكن حالما حل النهار انطلقنا إلى بيتي . في طريق العودة مررنا بالمكان حيث كنا قد دفنا المتوحشين الاثنين .
عمل جمعة كأنه يحفر مخرجا الجثتين . بإشاراته بدا لي أنه يريد أن يأكلهما . غضبت غضبا شديدا وأخبرته أن يتقدم ويبتعد عنهما.
قبل الذهاب إلى البيت صعدنا إلى التل لنتأكد تماما من أن المتوحشين كانو قد رحلوا . سحبت مرقابي وبحثت في الشاطئ مدققا . لم تكن هناك أي إشارة لأي من المتوحشين أو قواربهم الكانو . لابد أنهك كانو قد ذهبوا دون أن يزعجوا أنفسهم بالبحث عن رفيقيم الاثنين.
هبطنا إلى الشاطئ وأتينا إلى المكان حيث كان المتوحشون . فيما أنا أبحث , غطس قلبي وارتجفت بما رأيت . كان الرمل أحمر من الدم وكانت العظام في كل مكان . وأخبرني جمعة بالإشارات بأنه كانت هناك معركة كبيرة بين قبيلته وقبيلة المتوحشين . كان هو أحد السجناء الذين أخذوا خلال المعركة . أخذ المتوحشون سجناءهم إلى أماكن مختلفة ليقتلوا ويؤكلوا.
عند العودة إلى البيت فصلت بعض الملابس لجمعة . عملت له بنطالا ومعطفا من جلد الماعز . وخطت له طاقية من جلد أرنب بري . سر سرورا عظيما بهذه الملابس وسرعان ما تعلم كيف يرتديها ويتجول في الأنحاء وهو يرتديها.
في البداية نام في ملجأ أعددته له خارج السور الداخلي . أخذت السلم وكل البنادق إلى الداخل . لم يكن جمعة يستطيع الوصول إلي سوى بالتسلق فوق السور .كان هذا سيثير ما يكفي من الضجة لتوقظني . لكنني ما كان علي أن أقلق . ما كنت أردت خادما أكثر حبا وإخلاصا منه . كان سريعا جدا في تعلم كيف يفهمني وأيضا كيف يتكلم إلي . كان من السار جدا أن أجد شخصا أتكلم إليه .
بالمساعدة التي قدمها إلي جمعة أصبحت حياتي أسهل وأظن أنني كان يمكنني أن أقيم في الجزيرة إلى الأبد ، لولا وجود المتوحشين أعتقد أن جمعة كان سيعبدني ويعبد البندقية لو سمحت له بهذا .
فلبعض الوقت لم يكن ليلمس البندقية بل يتكلم إليها كأنها تجيبه .
عرفت فيما بعد أنه كان يطلب من البندقية ألا تقتله.

****

الفصل العاشر
قارب كانو آخر يبنى

بدأت أبهج سني إقامتي في الجزيرة الآن . علمت جمعة أن يسخن الذرة ويخبز الخبز . خلال وقت قصير أصبح قادرا على القيام بالعمل كله تماما كما استطعت أنا أن أقوم به . بدأ يتكلم جيدا تقريبا ليفهم أسماء كل شيء أردته .كان سرورا عظيما لي أن أصبح قادرا على الكلام إلى شخص ثانية بعد كل هذه السنين.
سألته عن مدى بعد البر الرئيسي عن الجزيرة وعما إذا كانت قوارب الكانو دائما ما تضيع غالبا في البحر . بدا أن لديه فكرة ضئيلة جدا عن المسافات ,لكنه أخبرني أن هناك خطرا ضعيفا جدا وأن قوارب الكانو نادرا جدا ما تضيع . قال إن هناك ، وعلى مسافة قريبة داخل البحر ، تيارا وريحا . في الصباح يتجه التيار في طريق واحد وفي فترة ما بعد الظهر يتجه في طريق آخر . من هذا فهمت أنه كان يتكلم عن حركات المد والجزر.
أخبرني جمعة عن شعبه الذين دعاهم بالكاريبيين . قال أيضا بأنه على مسافة طويلة وراء الشمس الغاربة ، عاش رجال مثلي ببشرة بيضاء ولحى.
قال جمعة : " إنهم يقتلون كثيرا من رجل" .
افترضت أنه كان يتكلم عن الإسبان . فقد كانت قسوتهم في جنوب أميركا معروفة حتى في أوروبا.

سألته : " هل ترى أن من الممكن الوضول إلى بلادهم ؟"
أجاب : " نعم ، نعم ، يمكنك الذهاب إليها في قاربي كانو اثنين" .
بذلك عنى أن الإنسان يحتاج إلى قارب أكبر بحجم قاربي كانو اثنين.
بدوري أخبرت جمعة عن شيء من قصتي . وصفت له حياتنا في إنجلترا وكيف أنني تركت وطني وأتيت إلى البحر . وصفت كيف تحطمت السفينة التي كنت أبحر بها . حين سمع هذا جمعة استغرق في التفكير . قال بعد بعض الوقت : " أنا أرى قاربا هكذا يأتي إلى قومي" .
في البداية لم أفهم ما كان يحاول أن يخبرني به . ثم أدركت بأنه كان يقول بأن سفينة مثل سفينتنا كانت قد حطمتها عاصفة على شواطئ بلاده هو . وصفها لي ببعض التفصيل ثم أضاف شيئا أثار اهتمامي إلى حد عظيم.
قال : " نحن ننقذ رجلا أبيض من الغرق" .
سألت : " كم رجلا أبيض كان هناك .؟"
عد على أصابعه ليريني أن هناك سبعة عشر رجلا في المجموع .
تابع جمعة القول بأن الرجال البيض كانوا لا يزالون هناك وظلوا يعيشون من شعبة لمدة أربعة سنوات . سألته لماذا لم يقتل شعبه الرجال البيض ويأكلونهم.
أجابني : " عملوا أخا معهم . شعبي لا يأكلون أي رجل إلا حين يشنون حربا" .

ذات يوم حين كان الطقس صافيا جدا كنت أنا وجمعة على قمة تل في الجانب الشرقي من الجزيرة . نظر جمعة عبر البحر واثير جدا . دعاني إلى جانبه وأشار بأصبعه.
قال : " يا للفرح ، يا للفرح . هناك ، انظر إلى بلادي . هناك قومي" .
سألته ما إذا كان يحب أن يعود إلى شعبه مرة أخرى.
أجاب : " نعم ، سأكون مسرورا كثيرا لأن أكون عند قومي أنفسهم " .
سألت : " ما الذي ستفعله هناك ؟ هل ستتحول إلى متوحش مرة أخرى ، تأكل لحم البشر وتصبح متوحشا كما كنت من قبل ؟"
"لا ، لا ، جمعة يخبرهم أن يعيشوا جيدا . جمعة يخبرهم أن يأكلوا خبزا ولحم ماعز وأن يشربوا حليبا . لا يأكلون لحم رجلون ثانية" .
قلت : " لماذا ؟ إذن من المؤكد أنهم سيقتلونك" .
أجاب جمعة : " لا ، هم لا يقتلوني . إنهم يرغبون في التعلم" .
حين سألته ما إذا كان سيعود إلى شعبه ، قال جمعة بأنه ليس لديه أية قارب كانو وأنه لا يمكنه أن يسبح بعيدا جدا إلى هذا الحد .
وعدت أن أصنع قارب كانو له ، لكن جمعة لم يرد أن يذهب وحيدا.
استغربت : " لماذا ؟ سيأكلوني لو ذهبت معك" .
أجاب جمعة : " لا ، لا ، إنهم لا يأكلونك . إنهم لطفاء معك كما هم لطفاء مع الرجال البيض الآخرين" .
كان واضحا أن جمعة أراد مني أن أغادر الجزيرة لأذهب معه لأنضم إلى قومه . بالرغم من هذا ، فكرت أنه من الأفضل أن أبقى في الجزيرة وأن يذهب جمعة بدوني . حين أخبرته بهذا حزن حزنا شديدا جدا وابتعد عني . سرعان ما عاد بعد وقت قصير ومعه فأس.
قال : " هاك ، خذ . أنت تقتل جمعة . لماذا تبعد جمعة عنك ؟ أفضل أن تقتله" .
حالما قال هذه الكلمات رأيت في عينيه دموعا . أخبرته حينئذ ، وفي مرات عديدة فيما بعد ، بأنني ما كنت سأبعده في الوقت الذي يريد هو أن يبقى . وجدت أنه يريد أن يعود للوطن وأنني يجب أن أذهب معه وأساعد قومه.
قال : " أنت التعلم الرجل المتوحش ليكون أليفا ، تخبرهم أن يعرفوا الله , أن يصلوا إلى الله . أنت تعلمني خيرا ، أنت تعلمهم خيرا" .
مع أن جمعة لم يرد أن يتركني ، قررت أن أبني قارب كانو آخر ، وانطلقت في الأرجاء باحثا عن شجرة مناسبة لصنع القارب .
خططت أن أبني قاربا أكبر من قاربي الأول ووجدت بعض الصعوبة في الحصول على شجرة كبيرة تماما ، كانت أيضا قرب الماء . أخيرا وجد جمعة شجرة ، وبعد أن أسقطها ، بدأنا في تجويفها . أراد جمعة أن يحرق داخلها ، لكنني أريته كيف أفعل هذا بالأدوات التي كانت لدي . سرعان ما تعلم كيف يستعملها . في

حوالي مدة شهر من الزمن أنهينا تشكيل قارب الكانو وأصبح جاهزا لينطلق . استغرقنا أسبوعان آخران لجر القارب بوصة بوصة إلى الشاطئ إلى أن طفا في البحر.
حين حل القارب في الماء رأيت أنه سيحمل عشرين رجلا بسهولة . مع أن القارب كان كبيرا جدا استطاع جمعة أن يوجهه بسهولة تامة بمقذافه . مع هذا , خططت أن أضع سارية وشراعا ، ومرساة أيضا.
استغرقت هذه الأمور الإضافية حوالي شهرين لصنعها وتركيبها . إضافة إلى الشراع الرئيسي أضفت شراعا أماميا صغيرا ، حتى أن قارب الكانو كان سيدور بسرعة أكبر في الريح . وصنعت أيضا ذراع دفة ، حتى يكون من السهل توجيهه . حين اكتمل هذا العمل كان علي أن أعلم جمعة كيف أبحر بالقارب . مع أنه كان خبيرا بالمجذاف ، لم يكن يعرف أي شيء عن الإبحار بالشراع.
خلال موسم المطر أبقيت قاربنا الكانو تحت السقيفة . أثناء وجود مد عال سحبناه إلى أعلى لشاطئ . حفر جمعة حوضا صغيرا كان كبيرا فقط ليستوعب القارب وعميقا تماما بالنسبة إليه ليطفو فيه . حين انحسر المد عن الشاطئ بيننا سدا عبر المدخل لتبقي الماء خارجه .؟ ثم غطيناه بفروع من الأشجار وهناك استقر إلى أن توقفت الأمطار.

****

الفصل الحادي عشر
زوار أكثر إلى الجزيرة

ذات صباح طلبت من جمعة أن يذهب إلى شاطئ البحر ليرى إذا ما كان يمكنه أن يجد سلحفاة . لم يكن قد ذهب إلى مسافة بعيدة حين عاد جاريا.
صاح بصوت عال : " أوه سيدي ، أشياء سيئة يا سيدي" !
سألته : " أي أشياء سيئة يا جمعة ؟"
أشار نحو الشاطئ.
قال بصوت خائف جدا : " كاون واحد واثنان وثلاثة" .
حاولت أن أطمئنه لكن لم يكن هناك فائدة . لم يكن هناك أي شيء يمكنني قوله له يقنعه بأن المتوحشين لم يعودوا للبحث عنه فقط . كان متأكدا من أنهم سيقطعونه إلى قطع ويأكلونه.
أخبرته : " إذا هاجمونا سنقاتلهم" .
أجاب : " أنا قاتل أيضا . لكن هناك يأتي الكثير جدا بالنسبة إلينا" .
أجبت : " ذلك لا يهم يا جمعة . ستخيف بنادقنا أولئك الذين لن نقتلهم".
ذهبت إلى البرميل أولا حيث لا يزال لدي بعض شراب الروم . شربت بعضا منه أنا نفسي ومن ثم أعطيت بعضه لجمعة لأثبت أعصابه . أعددت بنادقي وساعدني جمعة . حين شحنت كل البنادق والمسدسات علقت سيفي إلى جانبي وأعطيت جمعة فأسا . ثم ،

وبعد أن أخذت مرقابي ، تسلقت أنا وجمعة التل لأرى كم من المتوحشين أتى هذه المرة.
رأيت أن هناك واحدا وعشرين متوحشا في المجموع وكان لديهم ثلاثة سجناء . رسوا هذه المرة في مكان أقرب كثيرا إلى بيتي .
كان الشاطئ هنا منخفضا , ووصلت غابة كثيفة إلى حافة الرمل .
لم أشك بأن المتوحشين نووا أن يقتلوا ويأكلوا سجناءهم ، وقد أغضبني التفكير في هذا غضبا شديدا حتى أنني قررت أن أهاجمهم بمساعدة جمعة . بانتقالي حوالي ميل داخل اليابسة تمكنت من شق طريقي في الغابة خلفهم . لحسن الحظ ، وصلت إلى مسافة ضمن نطاق إطلاق النار على المتوحشين دون أن أكتشف.
دخلت الغابة بأسرع ما أمكنني وجمعة يتبعني عن قرب خلفي .
حين كنت على حافة الغابة على مسافة أقرب من المتوحشين ناديت بصوت رقيق على جمعة . أريته شجرة كبيرة وطلبت منه أن يتسلقها ويى ما إذا كان يمكنه أن يرى أي شيء.
حين عاد أخبرني أن المتوحسين كانوا يجلسون حول النار يأكلون أحد سجنائهم . كان سجين آخر يجلس بالقرب منهم وهو مربوط بحبل . أخبرني جمعة بأنه رجل أبيض بلحية . ملأني هذا بالرعب وذهبت أنا بنفسي إلى الشجرة ونظرت من خلا مرقابي .بوضوح فقط رأيت رجلا أبيض يتمدد على الرمل ويداه وقدماه مربوطتان.
أردت أن أجري نحو المتوحشين مباشرة لكنني أدركت أن هذا سيكون بلاهة . كانت توضع بعض الشجيرات بيني وبين النار حيث كانوا يجلسون . لو أنني كنت أستطيع الوصول إليهم دون أن أرى لكنت قادرا على مفاجأتهم . بعد أن خطوت بحذر كبير عدت راجعا حوالي عشرين قدما وسلكت طريقي بهدوء غبر الغابة ، إلى أن أتيت إلى الشجيرات.
لم تكن هناك أية لحظة أضيعها . كان تسعة عشر شخصا من المتوحشين يجلسون حول النار . كان الآخران أرسلا لقتل السجين الأخر . أشرت إلى جمعة لكي ينضم إلي وسرعان ما كان بجانبي.
قلت : " الآن يا جمعة ، افعل تماما كما أطلب منك . ضع بندقياتك على الأرض واستخدم الخردق . حسنا ، الآن أنت جاهز لإطلاق النار" .
أوما جمعة برأسه بسرعة.
أمرت : : إذن اطلق" !
انطلقت بندقيتانا معا . كان تصويب جمعة أفضل من تصويبي . بطلقاته الأولى قتل اثنين من المتوحشين وجرح ثلاثة آخرين . بطلقاتي قتلت واحدا فقط وأصبت اثنين.
لابد أن تتأكدوا أن فزعا تاما حل بين المتوحشين . قفز كل الذين أصيبوا واقفين على أقدامهم . لم يعرفوا من أين تأتي الطلقات ولا إلى أي طريق يجرون لتحقيق سلامتهم . وضعت بندقيتي في الخردق جانبا وتناولت بندقية أخرى في من الرمل . فعل جمعة الشيء نفسه واستعد ليطلق النار مرة أخرى.
سألت : " هل أنت مستعد يا جمعة ؟"
"نعم" .

"إذن اطلق النار" .
أطلقنا النار مرة أخرى لكننا قتلنا اثنين فقط هذه المرة . جرح الكثيرون وجروا في الأنحاء صاخين وصائحين كأنهك كانوا مجانين . التقطت بنادق الخردق الأخرى وناولت بندقية لجمعة.
قلت : " الأن اتبعني" .
بهذا القول اندفعت خارجا من الغابة وجمعة خلفي . حالما رآني المتوحشون صرخت بأعلى صوت أمكنني إطلاقه . اتجهت مباشرة نحو السجين الذي كان وحيدا الآن . كان المتوحشان اللذان على وشك أن يقتلاه قد هربا وقفزا داخلين قارب كانو . تبعهما ثلاثة من المتوحشين الأخرين . طلبت م جمعة أن يطلق النار عليهم . جرى على الشاطئ ليكون أقرب إليهم وأطلق النار عليهم . ظننت في بداية الأمر أنه كان قد قتلهم أو جرحهم كلهم ، فقد سقطوا كلهم في كومة داخل القارب . نهض اثنان منهم بسرعة ورأيت أنه قتل اثنين وجرح واحدا.
بينما كان جمعة يطلق النار على المتوحشين ، سحبت بندقياتي وقطعت الحبال التي ربطت السجين المسكين . رفعته على قدميه لكنه كان ضعيفا جدا حتى أنه لم يكد يستطع أن يتوقف أو يتكلم .
أخذت قنينة شراب الروم من جيبي وطلبت منه أن يشرب .
أعطيته أيضا قطعة من الخبز أكلها . سألته من أي بلد أتي فأخبرني أنه إسباني.
عندئذ استعاد قوته قليلا وعرفني كم كان ممتنا لي لإنقاذه حياته.
قال بما أمكنني تذكره من اللغة الإسبانية : " سيدي ، سنتكلم فيما بعد ، لكن علينا أن نقاتل الآن . لو كنت تتمتع بأي قوة باقية خذ المسدس والسيف" .
أخذ المسدس ووضعه في حزامه . ثم أخذ السيف وجرى إلى المتوحشين . قطع اثنين منهم إلى قطع . في أثناء ذلك ، أرسلت جمعة إلى الشجيرات حيث كنا قد أطلقنا طلقاتنا الأولى . طلبت منه أن يحضر لي كل بندقياتي التي أبقيناها هناك . لم أكن قد أطلقت كل بندقياتي بعد فأنا لم أرغب في أن يمسك بي وأنا بلا وسيلة دفاع . حالما عاد جمعة أعطيته بندقيتي ليحميني بها بينما رحت أعيد شحن كل البنادق الأخرى.
بينما كنت أقوم بهذا هاجم أحد المتوحشون الإسباني من الخلف . كان الإسباني زميلا شجاعا لكنه كان ضعيفا بسبب بقائه سجينا طيلة هذه المدة الطويلة من الزمن . قاتل جيدا وجرح المتوحش مرتين في الرأس ، لكن المتوحش كان أقوى منه وأخيرا رمى بالإسباني على الأرض . ثم أمسك المتوحش بسيف الإسباني ولواه في يده وأخذه منه . كنت أجري لمساعدته ، حين وصل الإسباني إلى المسدس في حزامه وأطلق النار على المتوحش في جسده . سقط ميتا على الفور.
جرى جمعة وراء المتوحشين الثلاثة الذين كنا قد جرحناهم وقتلهم بفأسه . أخذ الإسباني بندقية من النادق التي أعدت شحنها وجرح اثنين آخرين من المتوحشين .حين هربا لم يستطع أن يرجي بسرعة كافية ليتبعهما وهربا إلى داخل الغابة .جرى جمعة وراءهما بسرعة وسرعان ما قتل واحدا منهما بينما جرى الأخر

بسرعة إلى الشاطئ وسبح خارجا إلى قارب الكانو . كان متوحشان آخران قد ركبا قارب الكانو مع شخص آخر كان جريحا . هرب هؤلاء الأربعة وكانو المتوحشون الوحيدون الذين هربوا من بين المجموعة كلها.
أطلق جمعة طلقتين وراءهم لكنهم كانوا أبعد جدا من أن يتعرضوا لأي خطر . سألني ما إذا كا يستطيع أخذ قاربا من قوارب الكانو ويتبعهم . وافقت على الفور فلم أردهم أن يعودوا إلى شعبهم بأخبار ما قد حدث . تخيلت أنه في لكح البصر سيغزوا مائتان أو ثلاثمائة من المتوحشين الجزيرة لأخذ ثأرهم.
ركضت مع جمعة إلى أحد قوارب الكانو وكنت على وشك أن أقفز فيه حين لاحظت سجينا آخر في قاعه . كانت يداه وقدماه مغلولتين وكان ميتا تقريبا من الخوف . كان قد سمع الطلقات والصرخات ولم يكن يعرف ما حدث . كان مربوطا بإحكام شديد حتى أنه بالكاد يتحرك.
قطعت الحبال التي أمسكت بيديه وقدميه وحاولت مساعدته على الوقوف . كان أضعف من أن يقف واستلقى في قارب الكانو وكان يئن ، أظن أنه اعتقد أننا فككنا رباطه فقط لنقتله . حالما رآه جمعة بدأ يحضن ويقبل هذا السجين . ثم صاح , وقفز وغنى وقفز من مكان إلى آخر كأنه مجنون . مر وقتا طويلا قبل أن أتمكن من حمل جمعة على الكلام إلي ويخبرني لماذا كان مثارا إلى هذا الحد .حين هدأ قليلا أخبرني أن الرجل في قاع القارب كان أباه.
بدأ جمعة يفرك رجلي أبيه ليحاول أن يعيد بعض الحياة إليهما .

جعلتنا كل هذه الإثارة ننسى ملاحقة المتوحشين . كما حدث ، كان من حسن الحظ أننا لم نفعل هذا لأن عاصفة عنيفة هاجت بعد ساعتين . كانت الأمواج عالية جدا لدرجة أنني شككت بأن المتوحشين سيصلون إلى موطنهم في أي وقت وهم أحياء . ظننت أننا لو كنا لاحقناهم لكنا متنا أنا وجمعة غرقا.

****

الفصل الثاني عشر
ضيوف كروزو في الجزيرة

حين استعاد أبو جمعة وعيه قليلا استدعيت دعوت خادمي إلي . سألت ما إذا كان قد أعطى أباه أي خبز يأكله . أخبرني بأن ليس لديه شيئا يعطيه له . مددت يدي إلى داخل كيسي وأعطيته خبزا وزبيبا ليأكله وقليلا من الروم ليشربه . لم يكد جمعة يعطي أبوه الطعام حتى جرى مبتعدا بأرسع ما يمكنه.
قبل أن أمتشف أين كان يذهب جمعة ، أو ما نوى فعله ، اختفى عن الأنظار . عاد بعد ساعة ومعه جرة مليئة بالماء العذب وبعض المزيد من الخبز . رشفت رشفة صغيرة من الماء ثن لأخذها جمعة إلى أبيه . كان الرجل العجوز عطشا جدا وبدا أن الماء يفعل به خيرا من الروم الذي شربه للتو . حين أنهى أبو جمعة الشرب طلبت إلى الخادم أن يأخذ الماء إلى الإسباني ، الذي بدا في حاجة ماسة للماء قدر حاجة أبي جمعة.
كان الإسباني يستقر على العشب تحت الشجرة . حين عرض عليه جمعة الماء جلس معتدلا وشربه بلهفة . أخذت له بعض الخبز وبعض الزبيب الذي أكله بسرعة . حين انتهى أشرت إليه إشارات أن يأتي إلى قارب الكانو ، لكنه لم يكن يستطيع بعد القتال أن يقف على قدميه على نحو سليم . رفعه جمعة بين ذراعيه ، ووضعه على ظهره وحمله إلى قارب الكانو . هنا خفض الإسباني بلطف إلى أن استقر بجانب والد جمعة . ثم دفع القارب خارجا في الماء وجذف به في أنحاء الخليج قرب بيتنا . انطلقت لأذهب إلى البيت سيرا على الأقدام . حالما وصل جمعة إلى الخليج ، أحضر قارب الكانو إلى الشاطئ ومن ثم جرى ليحضر قارب كانو آخر . كان سريعا في هذا جدا حتى أنني بالكاد عدت إلى الخليج قبل أن يجذف جمعة بقارب الكانو الثاني إلى الشاطئ .

كان ضيوفنا الجدد غير قادرين على المشي من قارب الكانو إلى بيتنا . صنعت نوعا من نقالة حملناها أنا وجمعة بيننا . حين وصلنا إلى السور الخارجي واجعتنا مشكلة طيف ندخل الضيوف إلى الداخل . لم نستطع رفع النقالة من فوق السور ولم يستطع الضيوف تسلق السور . حللنا المشكلة بصنع خيمة بشراع قديم ونصبناها خارج السور . كان في داخل الخيمة فراشان من القش مغطيان بأغطية . هنا سيقيم ضيفانا إلى أن نتمكن من إدخالهما إلى داخل الأسوار.
بدأ جمعة في طبخ وجبة ، وحالما كانت جاهزة جلست مع ضيوفي لنأكل . كانت جزيرتي الآن مثل مملكة صغيرة . كنت الملك وجلست حول الطاولة حيث كان شعبي . تصرف جمعة كمترجم وأنا أتحدث إلى أبيه . سألت الرجل العجوز ما الذي فكر بأنه حدث مع المتوحشين الذين فروا في قارب الكانو . أجاب بأنه فكر بأنهك كانوا قد غرقوا في العاصفة . فكر : حتى إذا كانوا قد وصلوا إلى بيوتهم , كانوا خائفين جدا من البنادق إلى درجة أنهم لن يعودوا . بينما الوقت يمضي , ولم يظهر أي قارب كانو ،

وصلت إلى استنتاج أنه كان على حق.
حين تكلمت إلى الإسباني علمت أن هناك تسعة عشر شخصا من بلده يعيشون في البر الرئيسي . كانوا قد أنقذوا من حطام السفينة ويعيشون في سلام جنبا إلى جنب مع المتوحشين.
تابع : " الحياة قاسية جدا في البر الرئيسي ، ونحن نفتقر إلى أشياء كثيرة نحتاج إليها" .
سألت : " من أين أتيت حين تحطمت سفينتك ؟"
أجاب : " جئنا من نهر بلات في الأرجنتين وكنا نتجه إلى هافانا .
"
"كيف حدث أنك لم تحاول الهرب أبدا والعودة إلى أسبانيا ؟"
"غالبا ما تكلمت عن هذا لكن خططنا دائما كانت تؤدي إلى لا شيء" .
"هل تظن أن رفاقك سيرغبون في أن يأتوا إلى هذه السفينة ومن ثم يهربون معي ؟"
حين أجاب الإسباني أخبرني بأن حياتهم كانت قاسية جدا حتى أنهم سيرحبون بأي فرصة للهرب . اقترحت أن يعود إلى البر الرئيسي مع جمعة ويبحث الموضوع من زملائه من أبناء بلاده . وإذا رغبوا في أن يأتوا إلى الجزيرة فإنهم يمكنهم أن يعودوا معه في قارب كانوا كبير.
شكرني الإسباني لعرضي ، لكنه سأل إذا ما كان لدينا ما يكفي من طعام في الجزيرة لإطعام رفاقه إضافة إلى إطعامنا نحن أنفسنا .

كانت هذه مشكلة لم أفكر بها ، ورأيت بأننا سنحتاج إلى زراعة المزيد من الحبوب إذا أصبح لدينا الكثير من الناس إلى هذا الحد في الجزيرة . في النهاية ، قررنا أن نزرع أرضا أكثر ونستعمل كل احتياطاتنا من البذور . بحلول وقت الحصاد التالي سيكون لدينا ما يكفي من حبوب ليطعم الكل.
الآن ، وقد كان هناك الكثير جدا منا في الجزيرة إلى هذا الحد في الجزيرة , ان يمكننا أن نتجول في أنحاء الجزيرة بلا خوف من المتوحشين ، وانطلقت في الأنحاء مزيدا عدد قطيعي من الماعز . فعلت هذا بالإمساك بعشرين جديا صغيرا وتربيتهم . بحثت أيضا في الجزيرة إلى أن وجدت جزءا وافرا حيث الأعناب كانت وفيرة .التقطنا أمبر كمية أمكننا حملها معنا ، وحين عدنا إلى البيت ، علقناها في الشمس لتجف . حين كان حصاد الشعير والرز جاهزا أصبح لدينا ما يكفي من حبوب ليدوم لدينا حتى الحصاد التالي ، حتى لو أتتي المجموعة كلها من البر الرئيسي.
الآن ، وقد أصبح لدينا مل يكفي من طعام لكل ضيوفنا ، أخبرت الإسباني أن يستعد لرحلته . أخذ هو وأبو جمعة قاربا من الكانو الذي أحضرا به إلى الجزيرة كسجينين . فيه وضعوا ما يكفي من طعام لهما وما يكفي من طعام لمواطنيهما لمدة ثمانية أيام .
أعطيتهما بندقية لكل واحد منهما وبعض الذخيرة في حالة ما إذا وقعا في متعب.
بعد أن تمنيت لهما رحلة طيبة راقبتهما وهما ينطلقان . اتفقنا على

الإشارة التي سيطلقونها عند عودتهم . كان هذا إلى الحد الذي يجعلني لا أخطئ وأحسب أنهم هم القادمون بدلا من المتوحشين.

****

الفصل الثالث عشر
سفينة تصل إلى الجزيرة

كنت أتوقع رجوع الإسباني ووالد جمعة طيلة أسبوع حين حدث حادث غريب . كنت مستغرقا في النوم في شبكة النوم في وقت مبكر من الصباح حين أتى جمعة يجري داخلا وأيقظني.
صاح : " سيدي ، سيدي ، إنهم قادمون ، إنهم قادمون" !
قفزت واقفا وجريت خارجا حالما تمكن من ارتداء ملابسي . لم أتقف حتى لأخذ بندقيتي بل جريت إلى قمة التل ونظرت إلى البحر . رأيت قاربا يبحر نحو الشاطئ . لم يكن من الممكن أن يكون الإسباني يعود ، لأنه لم يكن قادما من اتجاه البر الرئيسي بل من نهاية الجزيرة الجنوبية . ناديت على جمعة وأخبرته أن يبقى إلى جانبي لأن هذا لم يكن القارب الذي كنا نتوقعه . على مسافة أبعد في البحر رأيت سفينة تستقر راسية . نظرت إليها من مرقابي وبدا لي أنه سفينة إنجليزية.
ملأتني رؤية هذه السفينة بالفرح لأنني كنت متيقنا من أنني سأجد أصدقاء على ظهرها . في الوقت نفسه أخبرني شيء ما بأن أكون حذرا . أي عمل يمكن أن يكون لسفينة انجليزية هنا ؟ عرفت أنهم لا يمكن أن يكونوا قد دفعوا بعاصفة لأن الطقس كان هادئا تماما . ربما كانوا هنا لغرض شرير ، لم أرد أن أسقط بين يدي لصوص وقتلة.
لم تمض مدة طويلة قبل أن يصل قاربهم إلى الشاطئ على بعد

حوالي نصف ميل أعلى الساحل من بيتي . كان هناك أحد عشر رجلا بدا أنهم إنجليز من مظهرهم . حين قفز الأربعة الأول من القارب أحضروا معهم ثلاثة رجال كسجناء . توقعت أن يقتل السجناء في أي لحظة وتمنيت لو كان والد جمعة والإسباني لا زالا معي . حضر باقي الطاقم إلى الشاطئ وتفرقوا في اتجاهات مختلفة على طول الشاطئ وفي الغابة . جلس السجناء الثلاثة على الرمل وهم يبدون بلا أمل.

حين وصل القارب كان المد في أعلى ارتفاع له . بينما كان أفراد الطاقم يتجولون حول الشاطئ انحسر المد وغرز قاربهم بثبات في الرمل . بعد أن حاولوا قدر الإمكان لم يستطع الطاقم تحريك القارب ، وبعد وهلة تخلوا عن محاولة إعادته للبحر ثانية.

سمعت واحدا منهم يقول : " لنتركه وحده يا جاك ، سيطفو في المد التالي" .

طيلة هذا الوقت كنت أراقب ما يحدث من جانب التل . كنت مسرورا من أن بيتي محمي حماية جيدة ، لأن الطاقم كانوا سينتظرون عشر ساعات على الأقل قبل أن يطفو قاربهم مرة أخرى . في ذلك الوقت كان يمكنهم بسهولة أن يكتشفوا بيتي ويسرقوا ما لدي من بضاعة . عرفت أنه قبل أن يتمكنوا من المغادرة سيخيم الظلام ، فيصبحون ي وضع غير مناسب لهم . خططت لمهاجمتهم عندئذ وبدأت أجهز بنادقي للقتال . فعلت هذا باهتمام أعظم مما فعلته عندما هزمت المتوحشين , لأن لدي نوع مختلف من العدو هذه المرة أتعامل معه.

بحلول الساعة الثانية بعد الظهر ، أكثر ساعات النهار حرارة ، كنت قد أنهيت الاستعداد للقتال . ذهبت لأرى ما إذا كانت هناك أية علامة للمجموعة . لأنني لم أر أي واحدا منهم , افترضت أنهم لابد أن يكونوا كلهم نائمين تحت الأشجار . ثم رأيت السجناء الثلاثة يجلسون تحت شجرة بعد حوال نصف ميل مني . قررت أن أصعد إليهم وأرى ما يمكنني اكتشافه . اقتربت منهم قدر الإمكان دون أن أرى.

صحت بصوت عال وأنا أخطو خارجا من بين الشجيرات : " من أنتم أيها السادة ؟"

فزعوا من رنة صوتي لكنهم فزعوا أكثر عند ظهوري . لابد أنني بدوت منظرا غريبا بالنسبة إليهم بملابسي المألوفة من جلد الماعز . حدقوا في بأفواه فارغة . ظننت أنهم على وشك الهرب لذلك تحدثت إليهم بالإنجليزية.

قلت : " يا سادة ، لا تندهشوا مني . ربما كنتم رأيتم في صديقا لم تتوقعونه": .

أجاب واحد من السجناء : " لابد أنك أتيت من السماء مباشرة ، فلا أحد في هذه الأرض يمكنه أن يساعدنا" .

قلت : " كل العون من السماء يا سيدي . قل لي ما هي متاعبكم ؟ رأيتكم حين رسوتم أول مرة ورأيت احدا من الآخرين في القارب يرفع سيفا كأنه سيقتلكم" .

سأل واحد من السجناء ، والدموع تسيل هابطة على وجنتيه : " هل أنا أتكلم إلى إله أو إلى رجل ؟ هل أنت رجل أم ملاك ؟ "

أجبيت : " لا تخف . لو نت إلها أو ملاكا أرسل لمساعدتكم لجئت مرتديا ملابسعلى نحو أفضل مما أبدو الآن . أنا رجل ، رجل انجليزي ، راغب في مساعدتكم ، لكن أولا أريد أن تخبروني كيف أصبحتم سجناء هنا ؟"
كان الجواب : " وضعنا هو هذا يا سيدي . كنت قبطان السفينة التي تراها راسية في البحر . تمرد رجالي ضدي وكانوا في البداية سيقتلوني . ثم غيروا رأيهم وأحضروني إلى الشاطئ مع اثنين آخرين وهم ينوون تركنا هنا . ظنوا أن الجزيرة غير مأهولة وتوقعوا أننا سنموت هنا لحاجتنا إلى الماء والطعام" .
سألت : " أين الآخرون من السفينة ؟"
أجاب القبطان مشيرا إلى الأشجار : " إنهم هناك يا سيدي . يجب ألا نتكلم بصوت جدا أو إننا سنوقظهم فيأتون ويقتلوننا كلنا" .
"هل لديهم أي بنادق ؟"
"فقط اثنتان ، وتركوا واحدة منهما في القارب " . حين سألت القبطان عما إذا كان يجب أن نأخذهم كسجناء أو نقتلهم وهم ينامون ، أجاب بأنه يريد أن يأسرهم أحياء . اثنان فقط كانا خطرين ، واعتقد القبطان أن ذلكما الاثنان إذا أسرا وربطا ، فإن البقية سيعودون إلى واجباتهم . لكي لا نسمع انتقلنا إلى الخلف في الغابة بعيدا عن الرجال النائمين . حين كنا على مسافة آمنة تكلمت إلى القبطان . بدأت " : الآن يا سيدي ، إذا أنقذتك ، هل أنت موافق على القبول بشروطي ؟ لدي شرطان فقط . الأول هو أنكم بينما تقيمون في هذه الجزيرة ستطيعون الأوامر التي أصدرها إليكم .

إذا أعطيتكم بندقية , فلا تؤذونني أو تؤذوا ممتلكاتي . الشرط الثاني هو أنك إذا استعدت سفينتك ستأخذني وخادمي جمعة إلى إنجلترا . "
أجابني بأنه ، وهو يدين بحياته ويظل مدينا لي طالما بقي على قيد الحياة , سيقبل شروطي . حين رضيت بأجوبته أعطيته ثلاثة بنادق خردق جاهزة لإطلاق النار.
قلت : " الآن وقد أصبحت مسلحا ، أخبرني بما يجب أن نفعله بأولئك المتمردين ؟"
أجاب القبطان : " هناك رجلان يجب ألا نسمح لهم بالهرب في أي حال من الأحوال .إذا فعلنا هذا فإنهما سيعودان إلى السفينة مباشرة ويحضروا باقي الطاقم ليدمرونا كلنا" .
فيما نحن نتكلم استيقظ متمردان ووقفا . بعد أن نظرا حولهما لدقيقة من الزمن أو اثنتين لدآ يتجولان بعيدا داخل الغابة.
سألت القبطان : " هل ذلكما هما الاثنان الخطران ؟"
أجاب بأنهما لم يكونا كذلك وأن الاثنين الذين نريدهما ما زالا نائمين . أخذ بنادقه الخردق وأعطى بندقية لكل من رفيقيه وبعدئذ سلكا طريقه نحو الرجال النائمين . فيما هم يمشون نحوهم أطلق أحد أفراد المجموعة ضجة . استيقظ أحد النائمين ورأى القبطان ورجاله قادمين . نادى بصوت عال ليوقظ رفيقه ، لكن الفرصة فاتت . حتى وهو يصيح بصوت عال أطلق القبطان ورفاقه النار . صوبوا تصويبا جيدا جدا حتى أن كلا قائدي التمرد أصيبا . قتل

أحدهما على الفور وجرح الآخر جرحا خطيرا.
بدأ الجريح في النداء بصوت عال طلبا للعون . أخبره القبطان بأن الأوان فاته جدا على طلب العون ونصحه أن يطلب من الله أن يصفح عنه . ثم ضربه القبطان بمؤخرة بندقية الخردق على رأسه فلم يتكلم ثانية.
عندئذ كان البحاران اللذان تجولا بعيدا داخل الغابة قد عادا وطلبا من القبطان أن يبقي على حياتيهما . على هذا وافق إذا وعدا أن يكونا مخلصين له في المستقبل . جعلهما يعدان أيضا بأنهم سيساعدانه على العودة إلى السفينة وإبحارها إلى جامايكا . استدار القبطان إلي وسأل ما إذا كنت راغبا في أن يبقي على حياتيهما.
أجبت : " يمكنك أن تبقي على حياتيهما ، لكن يجب أن تربط أيديهما وقدميهما أثناء بقاهما في الجزيرة" .
أرسلت جمعة مع أحد رفيقي القبطان إلى قارب المتمردين ليحضر الشراع والمجذافين . في أثناء هذا عاد ثلاثة من أفراد الطاقم ، الذين كانوا يتجولون في جزء مختلف من الجزيرة خلال القتال . حين رأوا بأن القبطان كان الآن السيد ، استسلما وطلبا الرحمة . ربط جمعة أيديهم وأقدامهم ووضعهم مع السجناء الآخرين.
كنا الآن قد فزنا بالكامل..

****

الفصل الرابع عشر
أسر المزيد من المتمردين

عدت بالقبطان إلى بيتي وأريته كل شيء عملته لراحتي وسلامتي . أخبرته أيضا بالقصة كاملة لوصولي إلى الجزيرة وحياتي فيها . بدا أنه مهتم جدا في كل ما كان يجب أن أريه وأقوله له.
بدوره كان القبطان قلقا جدا بالنسبة إلى ما يجب عليه أن تكون حركته التالية لاستعادة السيطرة على سفينته . أخبرني بأنه لا يزال هناك ستة وعشرون رجلا على ظهر السفينة . كانوا قد شاركوا في التمرد ويعرفون أنه , إذا أصبح قبطانا مرة أخرى ، سيشنقون حالما تصل السفينة إلى أي ميناء انجليزي.
لم نأمل في تحقيق السيطرة على السفينة برجال قلة كهؤلاء ، وبدا لي أن من الأفضل أن ننتظر ونرى ما سيحدث بعدئذ . كنت متأكدا تقريبا من أن الرجال على ظهر السفينة سيتساءلون عما كان قد حدث لرفاقهم . عاجلا أو آجلا سيأتون إلى الشاطئ في قارب آخر للبحث عنهم . لمنعهم من استعمال القارب الأول ، حملنا منه كل المعدات وثقبنا ثقبا كبيرا في قاعه . في الوقت نفسه ,حملنا القارب إلى مسافة بعيدة جدا إلى أعلى الشاطئ حتى لا يكون من المحتمل أي يجرفه أي مد بعيدا في البحر.
كان هذا عملا شاقا وجلسنا لنستريح حين أنهينا عملنا . فيما نحن نجلس لنستريح سمعنا السفينة تطلق النار كإشارة للقارب حتى يعود

. حين لم ينطلق أي قارب اطلق المزيد من الطلقات لكن لم يحدث أي شيء طبعا . حين وجد أولئك الذين على ظهر السفينة بأنهم لا يلقون أي جواب من الشاطئ أرسلوا مجموعة أخرى إلى الشاطئ . فيما اقترب القارب حاملا الرجال رأيت خلال المرقاب بأن عشرة رجال فيه ، وأنهم كلهم مسلحون ببنادق.
كان القبطان يعرف كل رجل في القارب وأخبرني بأن ثلاثة منهم زملاء شرفاء . أما البقية ، خصوصا القائد ، وضابط الأشرعة ، فقد كانوا طرين . كان القبطان يخشى أن يسفروا عن أنهم أقوى منا .
كان أول ما يجب فعله هو إخفاء السجناء , وهكذا أخذهم جمعة إلى كهفي . تركهم هناك مع خبز ومياه كافيين لثلاثة أيام .وعد بأنه إذا سار كل شيء على ما يرام ، فإن سراحهم سيطلق خلال ثلاثة أيام ، لكن إذا حاولوا الهرب فإنهم سيقتلون مباشرة.
أطلق سراح اثنين من السجناء الذين تكلم عنهم القبطان ، وعدا كلاهما في أن يكونا ماليين للقبطان ووافقا أن يقاتلا إلى جانبنا . نكون معهما ، والقبطان ورجاله الاثنان ، وأنا وجمعة سبعة رجال ، وكلنا جيدوا التسلح.
حالما وصل اربهم إلى الشاطئ سحبه الطاقم إلى أعلى الشاطئ ثم جروا إلى القارب الآخر . اندهشوا اندهاشا لا مزيد عليه وهم يجدون بأنه كان فارغا وأنه كان هناك ثقبا كبيرا في قاعه.
صرخوا بأعلى أصواتهم محاولين أن يسمعوا رفاقهم . حين لم يتلقوا أي جواب , أطلقوا كاهم نار بنادقهم . رنت الغابة بأصداء طلقاتهم ، لكن أحدا لم يجب . حين رأى الرجال من السفينة أنهم لا يتلقون أي جواب لنداءاتهم انطلقوا بقاربهم ثانية وجذفوا عائدين إلى السفينة . علمنا فيما بعد بأنهم فكروا بأن رفاقهم قد قتلوا.
لم يمض وقت طويل قبل أن يعودوا مرة أخرى . كان لديهم هذه المرة خطة جديدة . وصل سبعة من الرجال إلى الشاطئ للبحث عن رفاقهم بينما بقي الثلاثة الآخرون في القارب . فيما كان القارب يرسو على مسافة قريبة من الشاطئ شكل لنا هذا مشكلة جديدة . لن يكون عونا لنا أن نأسر الرجال السبعة الذين كانوا قد سبق وحلوا في هذا الشاطئ . لو فعلنا هذا فإن أولئك الذين في القارب سيجذفون عائدين إلى السفينة ويبحرون بعيدا . لم يكن أمامنا أي خيار سوى أن نصبر وننتظر فرصتنا.
لم يتفرق الرجال السبعة بل ساروا معا إلى أعلى التل فوق بيتي . رأيناهم بوضوح تام مع أنهم لم يرونا . كانوا بعيدين جدا عنا فلا نقدر أن نطلق النار عليهم ، لكنهم كانوا قريبين جدا ليخرجوا من المخبأ.
حين أت الرجال السبعة إلى حيث يمكنهم أن يروا جزءا كبيرا من الجزيرة , نادوا بصوت عال إلى أن تعبت أصواتهم . بدا أنهم لم يريدوا أن يختفوا عن أنظار الشاطئ . حين لم يتلقوا أي جواب لندائهم ، جلسوا تحت شجرة ايقرروا ما يفعلونه بعدئذ . فكرنا : لو أنهم ينامون فقط ، سيكون من السهل القبض عليهم ، لكنهم كانوا حذرين جدا من خطر محتمل لهذا.
تماما فيما نحن نفكر أن لا شيء يمكن أن يفعل قبل الظلام .

نهضت المجموعة وبدأت تسلك طريقها عائدة إلى الشاطئ .
بطريقة ما كان علينا أن نمنع حدوث هذا . أمرت جمعة ووكيل القبطان أن يذهبا إلى الغابة لمسافة نصف ميل ومن ثم يناديان بصوت عال قدر ما يستطيعان .حالما أجاب البحارة كان عليهم أن ينادوا ثانية . بفعلهم هذا ، لابد أنهم سيجرون الرجال السبعة إلى مسافة أبعد فأبعد عن الشاطئ.
كان البحارة قد وصلوا إلى القارب فعلا وكانوا على وشك تسلقه والدخول إليه حين نادى جمعة ووكيل القبطان بصوت عال .كانا على الجانب المقابل من الخليج ,لكن البحارة أحضروا القارب من الجهة الأخرى وربطوه إلى شجرت ضغير على الضفة . هذا ما أردته تماما . بينما كان وكيل القبطان وجمعة يسحبان البحارة بعيدا عن قاربهم ، أخذت باقي رجالي وأسرت القارب بسرعة . كان أحد الرجال الذين كان من المفترض أن يحرس القارب نائم على الشاطئ ، واستسلم الآخرون حين رأوا كم كنا مسلحين تسليحا جيدا .
تابع جمعة ووكيل القبطان النداء وجرا الرجال إلى أن وصلوا إلى منتصف الغابة . هناك تركا الرجال السبعة تعبين جدا وعلى مسافة طويلة من الشاطئ . كانوا متأكدين من أن البحارة لن يصلوا إلى قاربهم مرة أخرى قبل أن يحل الظلام.
حين تركوا البحارة ، عاد جمعة ورفيقه وانضما إلى بقيتنا على مسافة ليست بعيدة عن الشاطئ . كانت قد مضت ساعات عديدة بعد هذا تمكن البحارة أثناءها من أن يجدوا طريقهم للعودة إلى الخليج حيث تركوا قاربهم . سمعناهم يعودون من خلال الغابة . كان الذين في المقدمة يحثون عن الذين في المؤخرة على أن يسيروا بسرعة أكبر . كانوا كلهم يتذمرون من أقدامهم المتقرحة. تأكدنا من أنهم لن يكونوا قادرين على العودة إلى تلك السفينة في تلك الليلة .حين اكتشف البحارة هذا ، انزعجوا انزعاجا شديدا . قال أحدهم إن الجزيرة مليئة بالأرواح الشريرة ، بينما صرح آخر بأنهم سيقتلون كلهم.
أراد رجالي أن يهاجموا على الفور ، لكن ,لأنني أردت أن أقتل قادة التمرد فقط ، أمرتهم أن ينتظروا . لم يمض طويل من الوقت قبل أن تظهر فرصة مناسبة . أتى ضابط الأشرعة ماشيا نحونا بصحبة اثنين . كان القبطان متلهفا لهفة كبيرة لإطلاق النار على أعدائه حتى أنه بالكاد انتظر اقتراب ضابط الأشرعة قربا كافيا للتأكد من قتله . أقرب فأقرب ، أتى الرجال الثلاثة . فجأة ,لم يعد القبطان يستطيع أن ينتظر أكثر وقفز على قدميه وأطلق النار . في الوقت نفسه أطلق جمعة النار أيضا . سقط ضابط الأشرعة ميتا وسقط الرجل التالي له جريحا ومات بعد وقت قصير . جرى الرجل الثالث مبتعدا بأسرع ما أمكنه هذا.
تقدم بقيتنا نحو البحارة الآخرين . وحيث أن الظلام كان يخيم لم يروا كم كان عددنا قليل . ذهب الرجل الذي أسرناه في القارب إلى المقدمة . أمرته أن ينادي على أحد البحارة بالاسم . أردت أن نتكلم معهم حتى نتوصل إلى تفاهم معه.

نادى بأعلى صوت أمكنه إطلاقه : " توم سميث ! توم سميث" !
"هلهذا أنت يا روبنسون ؟"
أجاب الرجل الآخر : " نعم ، هو أنا . من أجل الله يا توم سميث ، ارموا ببنادقكم وإلا ستقتلون كلكم" .
سأل توم سميث : " أين أنت ، ،على من يجب أن نستسلم ؟"
"نحن هنا . وهاهنا قبطاننا . لديه خمسون رجلا هنا ظلوا يبحثون عنكم طيلة الساعتين الاضيتين هاتين . ضابط الأشرعة قتل ، ويل فراي جريح وأنا سجين . إذا لم تستسلموا ستضيعون كلكم" .
سأل توم سميث والشك يساوره : " هل سيظهرون لنا الرحمة إلا استسلمنا ؟"
إجابة على هذا نادى القبطان نفسه بصوت عال.
"أنت يا سميث ، أنت تعرف صوتي . أعد أنكم إذا ألقيتم بأسلحتكم على الأرض على الفور واستسلمتم ، سأبقي على حياتكم كلكم ما عدا ويل أتنكس" .
صاح ويل أتنكس : " لماذا ، ما الذي فعلته ؟ كانوا كلهم سيئين قدر ما كنت أنا" .
لم يكن هذا صحيحا حين أن ويل أتنكس كان أو من تمرد ضد القبطان . أخبره القبطان بصرامة بأنه يجب أن يستسلم مع البقية وأن يثق برحمة حاكم الجزيرة . بهذا عناني أنا . استسلموا كلهم وتوسلوا طالبين أن نبقي على حياتهم.
خاطب القبطان الآن رجاله.
قال : " كنتم كلكم بلهاء جدا وشريرين . ما لم تغيروا طرقكم إلى حد كبير ستشنقون . حين أحضرتموني هنا إلى الجزيرة فكرتم أم لا أحد يعيش في الجزيرة وأنني لابد أن أموت جوعا هنا . لكنكم ارتكبتم غلطة كبيرة . لهذه الجزيرة حاكم انجليزي وأنتم الآن سجناؤه . من المحتمل أن يرسلكم كلكم إلى إنكلترا حيث ستعامل معكم طبق القانون . أما بالنسبة لك يا ويل أتنكس ، قلا تتوقع أي رحمة . أنصحك أن تستعد للموت حيث أن الحاكم أمر أن تشنق في الصباح" .
سقط ويل أتنكس أمام قدمي القبطان وتوسل إليه أن يستعمل تأثيره على الحاكم حتى تبقى على حياته . توسل كل الآخرون بألا يرسلوا إلى إنكلترا كسجناء.
كنت متلهفا في أسر السفينة حتى أغادر الجزيرة أخيرا . أرسلت وراء القبطان وأخبرته عن خططي للإمساك بالسفينة . فكر أن خططي كانت جسدة وأنه سيساعدني في تنفيذها . قسمنا السجناء إلى مجموعتين . احتوت المجموعة الأولى أخطر الرجال وأرسلناهم إلى الكهف , وأيديهم مربوطة ربطا شديدا . أرسلا الآخرين إلى بيتي الآخر في منتصف الجزيرة.
في لصباح ، ذهب القبطان ليرى كل السجناء . أخبرهم أن حاكم الجزيرة وعد أن يبقي على حياتهم طالما بقوا في الجزيرة . حالما يعودون إلى إنكلترا سيوضعون في السجن . إذا ساعدوه على أسر السفينة فإنه سيبذل أقصى ما يستطيع لإنقاذ حياتهم . يمكنك أن

تحزر كم كان السجناء متلهفين لقبول عرض القبطان . وعدوا لا أن يساعدوه على لاقبض على السفينة فقط ، بل في أن يظلوا مخلصين له بقية حياتهم.
قال القبطان : " حسنا ، يجب أن أذهب إلى الحاكم وأخبره بما تقولونه وأرى ما الذي يمكن أن يفعل لمساعدتكم" .
هكذا عاد إلي مع وصف لما تبادله من كلام مع الرجال . أردت أن أكون متيقنا تماما من أنهم يمكن الوثوق بهم.
أمرت : " عد إل السجناء واختر خمسة من مساعديك . يمكنك أن تخبرهم بأن أولئك الذين تركوا في الطهف سيعاملون كرهائن . إذا برهن أشخاص الذين تختارهم بأنهم غير مخلصين ، عندئذ سأشنقهم كلهم أولئك الذين في الكهف أيضا" .
بدا هذا قاسيا ، لكن كان علي أن أظهر للرجال بأنني أتعامل مع هذا الموضوع بجدية كبيرة . لم يكن لديهم أي خيار سوى أن يقبلوا بشروطي . أصبح الآن من مصلحة الرجال في الكهف إضافة إلى القبطان أن يقنعوا الرجال الخمسة المختارين بأن يقوموا بواجبهم بإخلاص.

****

الفصل الخامس عشر
إعادة أسر السفينة

أصبح لدى القبطان الآن اثنا عشر رجلا في مجموعته . كان على جمعة وعلي أن نبقى في الجزيرة إلى أن يعاد أسر السفينة . في أثناء هذا راقب جمعة السجناء وأخذ إليهم الطعام والماء.
قسم القبطان رجاله إلى مجموعتين . هو ورفيقه لديهما خمس رجال معهما في قاربهما . ذهب البقية في القارب الذاني الذي أصلحوه .انتظرا إلى أن حل الظلام قبل أن ينطلقوا إلى السفينة . في منتصف الليل وصلوا ضمن مسافة نداء . حمل القبطان روبنسون على أن ينادي بصوت عال على أولئك الذين في ظهر السفينة.
قال:"وجدنا رفاقنا وقاربهم . لكن الجزيرة مكان رهيب وقد استغرقنا كل هذا الوقت لفعل هذا" .
بهذه الطريقة أبقى الرجال على ظهر السفينة يتكمون إلى أن وصلت قواربنا إلى جانب السفينة.
ثم قفز القبطان ووكيله بسرعة على ظهر السفينة وطرحا أرضا رجلين اثنين الذين قابلاهما . أسر البحارة كلهم الذين كانوا على سطح السفينة . أغلقت مجموعة القبطان الأبواب المؤدية إلى أسفل وثبتتها ، حتى لا يستطيع باقي الطاقم من الخروج . حين تم هذا أمر القبطان وكيله والرجال الثلاثة أن يقتحموا القمرة الخلفية . هنا كان بحار آخر قائدا في التمرد نائم . أيقظته ضجة القتال ووصل

إلى بندقيته . معه كان هناك رجلان وصبي ، كلهم كانوا مسلحين.
جرى الوكيل إلى الباب مع قضيب حديدي وشق الخشب . لم يكن من السهل هزيمة أولئك الذين كانوا في الداخل فأطلقت النار على الوكيل ورجاله . جرح الوكيل بطلقة كسرت ذراعه ، وجرح اثنان من مجموعته أيضا . لحسن الحظ لم يقتل أحد . مع أن الوكيل جرح ، إلا أنه نادى بصوت عال طالبا من الرجال أن يتبعوه من خلال الباب المكسور . اندفع إلى داخل القمرة الخلفية وأطلق على القائد النار في رأسه.
كانت هذه نهاية التمرد لأنه ، بموت هذا الرجل ، استسلم باقي الطاقم . حالما أسرت السفينة أمر القبطان سبع بنادق أن تطلق نارها . كانت هذه هي الإشارة التي اتفقنا على إطلاقها حالما ينجحون . كنت مسرورا جدا في أن أسمع البنادق تنطلق . كنت أجلس على الشاطئ لمدة ساعتين بالتمام منتظرا أن أعرف نتيجة المعركة.
بعد هذا ذهبت إلى الفراش . مررت بوم طويل ومتعب وسرعان ما نمت . حين استيقظت في الصباح كان القبطان ينادي.
قال : " يا حاكم ، يا حاكم ، تعال وانظر إلى سفينتك" .
اقتادني إلى أعلى التل وأشار إلى البحر.
صرح : " هناك هي . إنها كلها لك وكذلك نحن وكل ما يعود إليها " .
نظرت وهناك كانت السفينة على بعد ما يزيد عن نصف ميل بقليل من الشاطئ . حالما تولى القبطان المسؤولية ثانية رفع المرساة واقترب بالسفينة من الشاطئ إلى أقرب مسافة ممكنة.
كان الآن كل شيء جاهزا لإنقاذي من الجزيرة . ها هنا سفينة جاهزة وتنتظر أن تأخذني إلى إنكلترا . بعد كل هذه السنين كان التفكير يكاد يكون أكثر من اللازم بالنسبة إلي . فلبعض الوقت لم أستطع أن أجيب القبطان . لو لم يأخذني بين ذراعيه لكنت سقطت على الأرض كما ظننت . أخرج القبطان قنينة روم من جيبه وأعطاني لأشربه . بعد أن شربت الروم جلست على صخرة . قال القبطان أشياء كثيرة لطيفة لي ليساعدني على التغلب على عواطفي ، لكن هكذا كان تدفق الفرح داخلي حتى أنني انفجرت بالدموع.
بعد أن كنا قد تكلمنا لبعض الوقت قال القبطان بأنه أحضر لي بعض الطعام وأشياء مفيدة أخرى من السفينة . أحضر لي بعض نبيذ ماديرا وبعض التبغ . لم أر أيا من هذه الأشياء كل السنين التي أمضيتها في الجزيرة . ثم أتت ستة أضلع من لحم بقر وستة أضلع من لحم خنزير وبسكوت وسكر وأشياء أخرى كثيرة.
إضافة إلى الطعام كانت هناك بعض الملابس الجديدة . كانت هذه بالنسبة إلي قيمة حتى أكثر من أروع طعام . كانت هناك ستة قمصان جديدة ، ستة أوشحة , زوجا قفازات ، حذاء وقبعة وبذلة ملابس كانت جديدة تقريبا . بكلمة واحدة , كسوت من الرأس إلى القدم ، شعرت بأنني غريب حقا عندما ارتديت هذه الملابس .لم أرتد ملابس كهذه حيث أن الملابس الأخرى كانت قد اهترأت بعد أن أتيت إلى الجزيرة تماما.
بدأنا نفكر بالذي يجب أن نفعله بسجنائنا . قال القبطان بأننا إذا

أخذنا أسوأ اثنين فإن علينا أن نبقيهما ونقفل عليهما حتى نبلغ مستوطنة إنجليزية . كان يمكننا عندئذ أن نسلمها إلى حاكم ليتعامل معهما طبقا لقوانين تلك البلاد . عنى هذا تقريبا الموت لهما ، وفكرت بأنهما قد يفضلان أن يبقيا في الجزيرة إذا أعطي لهما الخيار . حين اقترحت هذا على القبطان وافق ، وهكذا أرسلت جمعة ليعيد كل السجناء إلينا.

حين حل السجناء كلهم إلينا ، تكلمت إليهم.

أخبرتهم : " أنا حاكم هذه الجزيرة ، وأنت يا قبطان أخبرتني بكل شيء عنهم . أنا أعرف بأنكم اشتركتم في التمرد وكنتم تخططون لتصبحوا قراصنة . لقد أمسكت بالسفينة ، وأفراد الطاقم كلهم الذين استركوا في التمرد إذا ماتوا أو استسلموا . كحاكم لهذه الجزيرة ، لدي صلاحية شنقكم . هل لديكم أي شيء يوجب على ألا أفعل هذا بكم ؟"

في الوقت نفسه جعلتهم يفهمون أنه ستبقى على حياتهم إذا وافقوا على أن يتركوا في الجزيرة حين تبحر السفينة . وافقوا كلهم بسرعة أنهم يفضلون أن يبقوا على أن يشنقوا . أخبرتهم بأننا ونحن نترك الجزيرة سنطلق سراحهم ونعطيهم بعض البنادق والذخيرة. قادهم جمعة بعيدا والتفت إلى القبطان لأتكلم إليه . أخبرته بأنني سأحتاج إلى بعض الوقت لأجهز بعض الأشياء لأغادر الجزيرة . كانت هناك الكثير من الممتلكات التي أردت أن آخذها معي لتذكرني بسني في الجزيرة . أردت أن أمضي ليلتي الأخيرة في الجزيرة بينما يعد القبطان السفينة للرحلة . طلبت منه أن يرسل القارب لي في الصباح التالي . طلبت منه أيضا أن يعلق جثة الرجل الذي قتل رميا بالرصاص في القمرة الخلفية على عارضة السارية حتى يراها الكل.

عاد القبطان إلى السفينة وبعد وقت قصير راقبت الرجال يرفعون الجثة إلى عارضة السارية . ذهبت إلى السجناء وأريتهم ما كان قد حدث لرفيقهم . حذتهم بأن هذا سيكون مصيرهم أيضا إذا عادوا إلى السفينة . ثم أخبرتهم بكل ما أستطيع قوله عن الجزيرة حتى أنه لم يكن من الصعب جدا عليهم أن يعيشوا هناك .أريتهم كيف خبزت خبزي وجففت زبيبي . أخبرتهم عن قطيع الماعز وأين أعيش . أخبرتهم أيضا عن الستة عشر إسبانيا المتوقع منهم أن يصلوا إلى الجزيرة في وقت قريب جدا.

في الصباح التالي أتى قارب من السفينة ليأخذني من الجزيرة لآخر مرة . مع أنني كنت سعيدا في التفكير في العودة مرة أخرى إلى إنكلترا ، إلا أنه لم يكن سهلا علي ترك الجزيرة . ظلت بيتي طيلة ثمانيو وعشرين سنة وعشت هناك بسعادة أكثر وراحة أكثر مما تخيلت في أي وقت من الأوقات . كان الله طيبا معي . لم ينقذني فقط من الغرق بل حماني أيضا من المتوحسين الذين زاروا الجزيرة . وها هو الله الآن أحضر لي سفينة كانت على وشك أن تأخذني إلى بلادي.

قوطعت هذه الأفكار بوصول الرجال الذين كنا سنترككهم في الجزيرة . كنت قد وعدت قبل أن أغادر أنني سأعطيهم سيفي وبنادقي . كان لدي القليل جدا من الذخيرة التي بقيت ، لكنني

وعدت أن أطلب من القبطان أن يرسل إليهم إمدادا أكثر حالما نكون كلنا سالمين على ظهر السفينة.
كانت مهمتي التالية أن نضع في القارب كل الأشياء التي كنت أريد أن آخذها من الجزيرة . تضمنت هذه قبعتي من جلد الماعز ومظلتي . وأخذت معي أيضا كل النقود التي أخذتها من السفينة الإسبانية . كانت قاتمة اللون وصدئة حتى كلن من الصعب تمييزها كفضة إلا بعد أن صقلت..
أخيرا كنت مستعدا إلى أن أغادر الجزيرة وأصل إلى القارب . دفع الرجال لقارب بعيدا عن الشاطئ وبدأوا يجذفون إلى السفينة . فيما نحن نرحل أتى رجلان من الجزيرة يسبحان نحونا . رجانا أن ندعهما يأتيان إلى السفينة لأنهما كانا خائفين من أنهما سيقتلان إذا بقيا في الجزيرة . لم يرد القبطان أن يأخذهما في البداية ، لكنه أقنع أخيرا.
هكذا تركت الجزيرة في التاسع عشر من كانون الأول 1686 ، كان هذا اليوم هو اليوم نفسه من الشهر الذي هربت فيه هروبي الأول من مغاربة سالي قبل سنين عديدة . وصلت السفينة إلى إنكلترا بعد رحلة طويلة في الحادي عشر من حزيران . 1686 برحمة من الله عدت إلى الوطن مرة أخرى بعد خمسة وثلاثين عاما.

تمت..